الخزائن التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

وحيد معه واحد تحته ألف عالَم،
غريب يلبس تاج مُلك الألف عالَم.
قصّتنا عجيبة فانظر وانبهر،
قطع العشق رأسنا ألا فازدجر.
ظننا رضاه في همسة وحركات،
فلما وجدناه أفنينا له كل الذات.
معشوقنا نار لا تُبقي ولا سقر،
وحده القيوم وما عداه انقبر.
بحار دموعنا يبخّرها قهره،
طموح أعيننا يطمسها عزّه.
لكن لا تيأس أي حبيب،
فنظرة عينه لروحك طبيب.
عينه رحيمة وغمزة منها،
تُحيي ألف موسى وعيسى.
العوالم كلها صاغتها يده الجميلة،
لتكون بساطاً لمجالس أنسه الطويلة.
فيا سلطان اسجد فالزمن قصير،
وعمّا قريب يرتفع حجابك عن وجهه المنير.

...

الفرق بين الفلسفة الذهنية والصوفية فيما يتعلق بالإلهيات والأخرويات:

الأول أن الفلسفة مبنية على وجود مفكّر منفصل عن موضوع التفكير، بينما الصوفية مبنية على الاتصال ما بين العارف والمعروف. لديك جسم فتعرف عالَم الأجسام بواسطة جسمك، فهل لديك روح متعالية تعرف بها شؤون عالم الروح المتعالي؟ هل فيه سرّ إلهي تعرف به الإلهيات؟ المفكّر الذهني عموماً يجيب ب"لا" على السؤالين، ومع ذلك يريد التفكير في الموضوعين،

والنتيجة تخمين وأوهام. الصوفي هو الذي يجيب ب"نعم" على السؤالين، ثم يسلك حتى يدرك موضوعه بذاته بيقين بلا واسطة ولا تخمين.

الثاني، الفلسفة الذهنية تنتهي إلى اللاقيمة والعدمية النسبية دوماً. ففي الطبيعيات، لا قيمة للفلسفة في نهاية الأمر من حيث أن معرفة الطبيعة تقوم على التجربة والرياضيات، فالتخمين الفلسفي لا قيمة كبيرة أو جوهرية له، لذلك سقط دور الفلسفة حين صعد نجم المنهج التجريبي في الطبيعيات. وفي الأخلاقيات، كل الأحكام السياسية والنصائح الاجتماعية تقوم على اختيارات واعتبارات بشرية، يعني لا حقيقة موضوعية قاهرة لها. وبما أننا نستطيع اختيار سلوكنا وقوانيننا فالنتيجة الفلسفية هي العدمية والنسبية. مثلاً، لماذا لا نكذب؟ لو كان الكذب يؤثر على وجودك، لنقل يسبب لك حرقة في المعدة أو يطول أنفك كبونوكيو، لعرفنا سبباً موضوعياً لعدم الكذب. لكن بناء على الفلسفة الذهنية المادية لا يوجد إلا عالَم الحس، وفي الحس لا نجد عموماً أثراً وجودياً تكوينياً للكذب، بالتالي يصبح الأمر مجرد اختيار شخصي أو خوف من البشر فإذا أمنت من البشر كأن تكون أقوى منهم فستكذب بلا حرج. لكن الرؤية الصوفية مبنية على وجود عالَم النفس وعالَم الآخرة الذي هو متجلي في النفس الآن بدرجة ما على الأقل، ولكل اختيار منك يوجد أثر وجودي تكويني عليك من قبيل "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا". بالتالي للاختبارات الأخلاقية حقيقة تكوينية. ولذلك لا ينتهي الصوفي كالفيلسوف إلى العدمية النسبية، بل القوانين والأخلاق وكل اختيار من النية إلى العمل له أحكام وجودية مثل أحكام الطبيعة بل أشد.

الفلسفة لم تعد شيئاً مهماً في هذا الزمان لأن النا استغنوا عن تخميناتهم عن الطبيعة بالمنهج التجريبي، واستغنوا عن أهوائهم الأخلاقية بالمنهج الفردي الديمقراطي (يعني كل فرد يختار لنفسه ما يشتهي في الشأن الشخصي ويختار بالتصويت في الشأن الاجتماعي).
الصوفية لا تزال قيمتها محفوظة لأنها لا تأخذ من الطبيعة إلا صورها لتضرب بها الأمثال فقط، ومعارفها فيما وراء الطبيعة مبنية على الذوق المباشر والطريقة الوجدانية الاتصالية، وأحكامها الأخلاقية مبنية على العلم بالأثر التكويني في النفس الغيبية الآن وفي العالَم الآخر غداً مع قول "انتظروا إني معكم من المنتظرين" للمكذبين بأقوالهم عن الأثر التكويني للقرار الإرادي.

قال: وماذا عن المنهج العقلي البرهاني؟ فالعقل الصريح والبرهان يوصِلنا إلى وجود الباري تعالى و المبدأ والمعاد والنفس وغيرها من الأمور، للتوضيح : (الفلسفة التي تستحق مسمى فلسفة هي الفلسفة التي تتبع المنهج البرهاني) وأما الباقي فهو أدبيات نسميه فلسفةً مجازاً فقط وإلا الفلسفة الحقيقية لا تؤدي للنسبية بل هي تبحث في حقايق الأشياء وبالعكس بالفلسفة تسقط النسبية لأن الفلسفة لها منهج ثابت مطلق في تحقيق المسائل، مثلاً الشيخ الرئيس ابن سينا هذا فيلسوف فعلاً من حيث المنهج، استطاع اثبات وجود الله واثبات المعاد والبعث والروح وغيرها من الأمور عن طريق البرهان، وكثيرًا هي الكتب في العلم الإلهي التي تسير وفق المنطق والبرهان، فما رأيكم بذلك ..؟
قلت: أنا أتحدث عن ما تسميه أنت هنا "فلسفة مجازاً".

ثم حتى هذه الفلسفة الذهنية البحتة لا تُغني النفس على الحقيقة ومهما صاغوا أدلتها بصورة منطقية، فإنها تبقى على مستوى الذهن أولاً، ومنفصل صاحبها عن حقائق ما يتمنطق فيه ثانياً، والخلاف بين الفلاسفة هؤلاء لا يزال قائماً ثالثاً. بالتالي، حتى هذه الفلسفة داخلة فيما تحدثت أنا عنه.
قال: قرأت عبارة ذات مرة في نفس سياق كلامك كانت (الفيلسوف يحدثك عن الله والصوفي يتحدث مع الله)
قلت: أو الفيلسوف يحدّثك عن الله والصوفي يحدّثك بالله في الله عن الله.

...
توجد أسباب عقلانية لبداية سلوك الطريقة الروحية الصوفية، عقلانية على مستوى العقل العام المشترك بين عموم الناس بل حتى يكاد يحيط بكل درجات العقل اللهم إلا المختل مطلقاً. لكن بعد السلوك سينفتح لك عقل أعلى، وإدراك أوسع، ورؤية أعظم لا يشترك معك فيها أحد أو لا يشترك فيها عموم الناس من غير السالكين على الأقل.

السبب الأول: النفسي. إذا كنت تريد الرضا والسعادة والقوة النفسية اليوم، فلابد أن يكون سبب سعادتك الأصلي شيء غير الناس والفلوس والحواس، لأن هذه الثلاثة متقلبة متغيرة. الطريقة الصوفية تفترض وجود طريق وشيء يجعلك فوق تغيرات الناس والفلوس والحواس، فكفرضية مبدئية هي أمر مرغوب يستحق النظر والبحث في مدى صدق ذلك، لأنه وعد عظيم وعلاج كبير جذري للألم والاضطراب النفسي. فإذا كنت تثق بتجريب الكثير جداً من الأمور

التي تعدك بشيء قليل من الرضا والسعادة مهما قلّت، فمن باب أولى أن تثق مبدئياً بتجربة طريق يعد بخلاص من التعلق الجذري بالمتغيرات الثلاثة السابقة.

السبب الثاني: كوني. يوجد أناس (أنبياء، أولياء) يدّعون أنه يوجد عالَم آخر سيتشكل بناء على حالتك الروحية واختياراتك في هذا العالَم، والمصير سيكون إما عذاب أبدي وإما رضا أبدي. هذه دعوى كبيرة لكنها خطيرة. ولذلك تستحق النظر في مدى جديتها وثبوتها. إذا كان بعض الناس اليوم (علماء الطبيعة) يخوّفون الناس من الفيروسات وتغيّر البيئة فيستحقون النظر في كلامهم وإن كنا لسنا مثلهم في العلم بما يقولونه لكن لخطورة الدعوى علينا استحقوا نظرنا، كذلك من باب أولى النظر في دعوى الأنبياء عن الآخرة.

السبب الثالث: المخاطرة. حين تسلك الطريقة الروحية، النتيجة ستكون إما ستعرف بيقين صدق الأنبياء وإما ستعرف بيقين أو على الأقل بتجربتك الصادقة كذبهم. على الوجهين أنت رابح. إن عرفت صدقهم، فزت فوزاً عظيماً بمعرفة نفسك المتعالية وآخرتك الأبدية، فتعمل على هذا الأساس وتستعد له. إن عرفت كذبهم، أيضاً فزت فوزاً عظيماً بمعرفة أنك مجرد جسم طبيعي والطبيعة هي كل الموجود لا غير، فتعمل على هذا الأساس وتُبعد عنك كل الدعاوى الميتافيزيقية والغيبية والأخلاقية الصارمة. لا توجد مخاطرة مُعتبرة في سلوك الطريقة، بل عاقبتها فوز دائماً وستربح على الأقل فن الانضباط العلمي والتركيز الذهني والوعي الوجودي والإدراك التجريبي، وطريق هذه الأمور أقلّ منافعه هو طريق عظيم حقاً ويستحق السلوك.

السبب الرابع: القياس. الناس اليوم يدرسون ١٢سنة وبعدها ٤ وقد يكون بعدها ١٠ فقط لكي يتقنوا معرفة جزء من الطبيعة أو المجتمع ويملكوا صنعة معيشية. قِس على ذلك في معرفة ما وراء الطبيعة وملك حقيقة أبدية. أنت تثق مبدئياً بمنهج وضعه غيرك، ثم تقرر رأيك. كذلك الحال في الطريقة الروحية، لا معنى لعدم الثقة مطلقاً بمنهج منها، بل هي الأولى بذلك من وجوه متعددة.

السبب الخامس: العدد. عدد الناس عبر التاريخ وإلى يومنا هذا الذين يعتقدون بأساس الرؤية الروحية للوجود هو العدد الأعظم. الغالبية العظمى وإلى اليوم تعتقد بشيء من الدين والروحانيات. فحين تقرر سلوك هذا الطريق فوراء ظهرك غالبية الناس عبر التاريخ وإلى اليوم، فأنت لا تعمل شيئاً غريباً مستشنعاً في الضمير البشري بل نحن نرى اليوم حتى بعض أشهر

الملاحدة صار يتحدث عن التأمل ويقظة الوعي ونحو ذلك بطريقتهم طبعاً. فاطمئن من هذه الناحية أيضاً إن كانت تهمك.

هذه خمسة أسباب كلها عقلانية لا تحتاج لأي تسليم بقضايا ميتافيزيقية لقبولها. على أساسها يصح التسليم المبدئي بالطريقة الروحية لسلوكها، ثم بعد ذلك انظر ماذا ترى.

قال: بعد تحرري من الخوف ودخولي في القراءة والبحث الذاتي وصلت لمرحله من التذبذب بيت العقل والشعور .. تجيني بعض الأحيان اصوات التحذيرات والتخويف من أعمال العقل والبحث بدون مرشد .... وش تنصحني اسوي إذا دخلت في دوامه التردد والخوف من التغيير ... وكيف الاقي احد يعيني على التقدم في البحث والتطور.
قلت: المداومة على أعمال الطريقة الثمانية، كلها وليس بعضها، كل الثمانية. أخذ بعض الثمانية سيؤدي حتماً إلى سلبيات كالتي ذكرتها أو أكثر وأكبر.
حين تُقيم أعمال الطريقة الثمانية، سيفتح لك الله بإذنه ورحمته كل ما تحتاج إليه.
...
أن تكون من أهل الطريقة الروحية والإلهية وتطلب أن لا يُساء فهمك من أكثر الناس، هو أمر مستحيل. لأنك الطريقة ستغيّر عقلك بشهود وجود أعمق وأوسع وأعلى من مستوى الوجود الذي تتشكّل عقول أكثر الناس بناء عليه. وحين تقول وتفعل فإنما تُظهر عقلك للناس. وهم سيترجمون قولك وفعلك بحسب نوعية عقلهم هم لا عقلك أنت. فبالضرورة ستكون أنت في واد وهم في واد ولا مجال للتفاهم بينكما. لذلك قال "فأعرِض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يُرد إلا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم". بناء على ذلك، لتكون من أهل الطريقة يجب أن تكون شديد الفردية والتمسك بفرادة تجريتك وذاتك، لابد من وجود درجة من النزعة المضادة للمجتمع القطيعي فيك، وميل شديد نحو الحرية من المجتمع. اعرف هذا ولا تتوهم خلافه فإنه لم يحصل في الماضي ولن يحصل الآن. "لن تجد لسنت الله تبديلا".
...
قتل بنو إسرائيل نفساً وكتموا ذلك، فأمرهم الله بموسى أن يذبحوا بقرة حتى يضربوا الميت ببعضها فيحييه الله والمفهوم ليُخبر عن قاتله فيُريهم الله آية لإحياء الموتى والحساب في الآخرة لعلّهم يعقلون حقيقة الآخرة وعلاقتها بأعمالهم في الدار الأولى. إلا أن بني إسرائيل كانوا يسألون عن تفصيل أمر البقرة، "ما لونها" و "ما هي"، أي أرادوا تعيين أي بقرة بالضبط هي التي يريد الله ذبحها. ما الفكرة هنا؟

فكرة: لعل الله كان سيوفّقهم لذبح البقرة المقصودة ذاتها، لكن بدون أن يجعلهم يعانون بالبحث عنها، أي لعله كان قدّر أنهم سيذبحوا ذات البقرة التي فصّل لهم شأنها بعد ذلك لكن بدون الحاجة للاهتمام بالوصول إليها. فلمّا سألوا عن التفاصيل، كان همّاً فوق رؤوسهم. فالمعنى، خذ الأمر الميسّر والله سييسّر لك الأحسن.

فكرة أخرى: حين سألوا عن التفاصيل دلّ ذلك على أنهم قوم يظنون أن الله لا يستطيع التأثير في الكون إلا في حال حصلت أسباب معينة بكل التفاصيل الدقيقة. لكن الرحمة كانت تقول، خذوا بأدنى سبب وانظروا إلى فعل الله. كما أن مريم هزّت إليها بجذع النخلة بدون سؤال عن كيفية قدرتها على ذلك أو ضرب موسى بعصاه البحر بدون سؤال عن علاقة هذا السبب بذلك الأثر. المعنى، حين تكون بالله فكل أعمالك مباركة أياً كانت التفاصيل.

...

(والشمس وضحاها)

القرءان بما فيه من توازن الذكر والفكر، والعلم بالحق والعمل بالحقوق.

(والقمر إذا تلاها)

الإنسان الطاهر القلب إذا امتلأ عقله بعلوم القرءان وامتثلت إرادته لأحكام الفرقان.

(والنهار إذا جلّاها)

عالَم الطبيعة حين تُشرق بنور عقل وإرادة إهل القرءان بل بذات وجودهم، والنصر القادم حتماً لهم.

(والليل إذا يغشاها)

عالَم الروح حين يفيض بأسراره على روح أهل القرءان، والحجاب المضروب عليهم بدخولهم في كهف التقية لفترة معينة.

(والسماء وما بناها)

مساجد أهل القرءان حيث ينشرون كلامهم وسيرتهم.

(والأرض وما طحاها)

منازل أهل القرءان في كل قارة وبلدة وحي.

(ونفس وما سواها)

حقيقة الإنسان الجامعة ما بين الحق والخلق، سواها من اسمه المقدس الجامع بين الأضداد.

(فألهمها فجورها وتقواها)

حين تبلغ الدعوة الرسولية مداها ستصبح كل نفس قرآنها، وعلمها إلهامي، وكل فرد سيجد الحق في ذاته بذاته بعلم حضوري وجداني.

(قد أفلح مَن زكاها)

اختار العمل بالتقوى كما عرفه بالإلهام الذاتي، فجعل روحانيته تغلب ماديته.

(وقد خاب مَن دساها)

جعل ماديته وأشغاله البدنية والمالية تغلب اهتماماته الروحية والعقلية والأدبية.

(كذّبت ثمود بطغواها)

ما سبق أمثال من الآفاق، وهذا مَثَل من الأنفس. ثمود مَثَل النفس التي لم ترى نفسها في مقام الخلافة الوسطي الجامع للعبودية والرسالة، بل أرادوا مقام الربوبية، فكذبوا بحقيقة النفس وبعد ذلك بالقرءان.

(إذ انبعث أشقاها)

من إرادتهم الربوبية لنفوسهم انبعث عملهم المؤدي إلى الشقاء الأبدي.

(فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها)

نهاهم مَن عرف نفسه عن التعدي على أهل الله وكلامهم. فوضع لهم حداً.

(فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)

رفضوا الحد واعتبروا قوتهم هي حدهم الوحيد ولم يروا حقاً أعلى من قوتهم، ولا حقيقة غير شهوتهم، ولا إنساناً له قيمة إلا إن خضع لهم. فقهرهم مَن هو أقوى منهم واستحقوا ذلك.

(ولا يخاف عقباها)

كل نفس راجعة قهراً إلى ربها، ولكل شيء عوِض، وميزة النفس تكون إما بصيرورتها منزلاً للعدل الإلهي إن طغت وإما منزلاً للفضل الإلهي إن زكت. فلا يخاف الله فناء نفس وهلاكها لأن غايته من خلقها تامة أياً كان اختيارها. فلا تحني نفس إلا على نفسها.

...

أرسلت لي حديثاً عن صنع شريحة في الدماغ ستشفي من العمى والصمم والشلل ونحو ذلك. وسألت عن رأيي.

فقلت : أمر سيحصل إن شاء الله. لأن كل معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ستحصل بصورة طبيعية وبشكل ما يشبه المعجزة والكرامة لكن بسبب طبيعي. إعادة البصر والسمع والحواس ونحو ذلك كله من المعجزات والكرامات في الأصل التي تُظهر تجلي اسم السميع البصير المحيي والشافي بواسطة عمل الإنسان وهي من مقام الخلافة.

...

قرأت في السيرة النبوية الحلبية، في باب عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل، هذه الجواهر.

أ-الجوهرة الكبرى، العظمى، قل ما تشاء في تعظيمها، وهي بيان قاعدة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأساس هجرته. هذا نصّ صاحب السيرة:

{ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم، ويقول "لا أُكرِه أحداً على شيء، مَن رضي الذي أدعوه إليه فذلك، ومَن كره لم أُكرهه، إنما أريد منعي من القتل حتى أُبلِّغ رسالات ربي". فلم يقبله أحد من تلك القبائل.}

أقول: نصّ النبي هنا هو عندي من أعظم وأهمّ النصوص التي يمكن أن يقرأها ويعرفها مسلم بل الناس جميعاً. مع العلم بأني لم أسمعه من قبل من متحدّث عن السيرة، فضلاً عن أن يكون عليه التركيز والاهتمام والبناء في العمل الدعوي والسياسي للمسلمين. بل كل بلاد المسلمين ومنذ قرون كلها مناقضة لهذا الأصل النبوي الأصيل.

أما قول النبي "لا أُكره أحداً على شيء". فهو البيان الأعظم للحرية، إذ أساس الحرية بلغة النفي هو قول "لا أُكره أحداً على شيء". ثم بيّن النبي هذا البيان المبين فزاده بياناً قطعاً للحجّة أيضاً، فقال "مَن رضي الذي أدعوه إليه فذلك، ومَن كره لم أُكرهه"، فكشف عن حقيقة أن الحرية لا تعني فقط وجود الإرادة بل وجود الرضا وعدم الكراهية في الإرادة. فالدعوة النبوية قائمة على الرضا وعدم الإكراه، بكلمة واحدة، الدعوة النبوية قائمة على الحرية. فهذا أصل الحرية بشكل عام، وأصل حرية الدين بشكل خاص.

أمّا قول النبي "إنما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي"، فبيان لما نسمّيه اليوم حرية التعبير. فهو يريد منعه من القتل، والقتل هو أشدّ صورة من صور العقوبة البشرية لإنسان بسبب كلامه، والنبي هنا مُهدد بالقتل لسبب واحد وهو أنه يتكلّم أو حسب تعبيره " أبلغ رسالات ربي"، والتبليغ كلام وموضوع الكلام هو "رسالات ربي". فالنبي لم يُرد إلا هذا المنع، أي الحماية من قبيلة (بلغة اليوم، دولة، إذ القبيلة في ذلك الزمان هي دولة بسيطة) بحيث يخرج إلى بلادهم ويقاتلون عنه ويحمونه من أعدائه حتى يتكلّم ويقول ما عنده. الشكل الأقوى لهذا المنع الذي طلبه النبي لنفسه هو أن يتم منع كل إنسان أي حماية كل إنسان حتى يقول ما عنده ويبلّغ الرسالة التي يرى وجوب تبليغها عليه، وهو مبدأ حرية الكلام القانوني، والذي إن وجد لما احتاج النبي إلى أنصار كما احتاج إليهم في ذلك الحين، لأنه بكل بساطة سيستطيع أن يبلّغ ما عنده بدون أذية المجتمع الذي يعيش فيه. نعم، لكن النبي يريد تبليغ الرسالة ليس فقط داخل البلد الذي يعيش فيه، بل يريد تبليغها لكل البلدان العربية لا أقلّ، لذلك كانت قريش تخاف من العرب بسبب دعوة النبي لأنه أراد إيصال رسالته إليها كلها، فإذا اعتدت إحدى تلك القبائل أو البلدان على النبي ودعاته فإن النبي كان سيقاتلها، بمعنى أن

مبدأ حرية الكلام يجب أن يوجد في كل مكان ولو بالحرب لحماية أصحاب البيان. فالمنع من قتل المتكلّم يعني المنع من قتله داخل البلد وخارج البلد، وقد فهم الناس حينها هذا الأمر من النبي ولذلك إذا قرأت السيرة ستجدهم يعرفون بما عرضه عليهم النبي ومعنى منعه أي أنه يوجد عنصر حرب مفتوحة مع كل بلدة تمنع النبي من الكلام فيها وإيصال بلاغه إليها بالعنف.

قاعدة النبي إذن هي التالي : حرية الدين وحرية الكلام في كل مكان ولكل إنسان. ومن أجل هذه القاعدة بحث عن أنصار، أي أناس يحاربون لحماية هذه الحرية في داخل البلد ولضمان وجودها في خارج البلد. هذا هو "الجهاد" النبوي الحق.

ب- جوهرة أخرى تتعلّق بالعلاقة ما بين دعوة النبي والملوك. وجدت ثلاثة نصوص متقاربة كلها تكشف عن العداوة الأصلية الجذرية ما بين الدعوة النبوية والأنظمة الملكية.

النصّ الأول: يقول فيه أبو بكر لقوم من ربيعة {منكم حامي الذمار ومانع الجار فلان... منكم قاتل الملوك وسالبها فلان...منكم صاحب العمامة الفردة فلان...فلستم من ذهل الأكبر، أنتم ذهل الأصغر}. أقول: الفكرة هنا أن أبا بكر كان يعدد فضائل الناس، التي هي حماية الذمار ومنع الجار ونحو ذلك من فضائل. وعدد ضمن هذه الفضائل عملية قتل الملوك وسلبها. فقتل الملوك وسلبها شأن فخيم وفضل عظيم عند أبي بكر الذي كان هنا داعي رسول الله والمتحدّث عنه أيضاً وله.

النصّ الثاني: أثناء دعوة النبي لإحدى القبائل قال له متحدّثهم ممن كان ينزل أي يعيش ويسكن في منطقة معينة بناء على عهد أخذه عليهم كسرى ملك الفرس، وبناء على ذلك قال للنبي بأنهم لا يستطيعون أن يمنعوه ويحموه وينصروه ضد كسرى وفي المناطق التابعة له بل يحمونه من العرب فقط وبما لا ينقض عهدهم مع كسرى، ثم قال هذا المتحدّث الذي فهم دعوة النبي جيداً وأبعادها، قال للنبي {وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه أنت هو مما تكرهه الملوك}. أقول: لاحظ جيداً العلاقة بين أمر النبي وبين كراهية الملوك. لم يقل النبي له بأنه أخطأ في قوله هذا، بل زاد النبي ووعدهم إن اتبعوه بأنهم سوف يزيلون ملك كسرى ويحكمون مكانهم. سألت نفسي حين قرأت ذلك: إذا كان الذين فهموا دعوة النبي جيداً عرفوا التضاد ما بين دعوته وطريقة الملوك، فما نوعية الدين وما مدى التحريف الذي حصل ولا يزال يحصل حتى صار ملوك يدعمون بزعمهم الإسلام المحمدي؟ لولا المسخ الذي حصل في الدين لما وجدت ملكاً يستطيع أن يقول "محمد رسول الله" ويبقى على كرسي طغيانه. من أهمّ ما تمت طغيته أو التغاضي عنه وإزالته من وعي جمهور المسلمين هو الكره بل البغض الشديد وإرادة الإفناء التي تكمن في كل قلب محمدي تجاه الملوك والملكيات. قد كان هذا معلوماً بالقرءان وفي زمان

النبي وعند أصحابه الأقدمين، لكن مع الزمن وتحديداً مع بدأ هيمنة الأمويين بدأ يتغيّر ذلك وحصل ما هو قائم الآن من ادعاء إمكان التعايش ما بين الإسلام والملكية بل صار يُدّعى بكل وقاحة بأن الإسلام المحمدي يأمر بالخضوع للملوك وقبول وجودهم بل صار الدجاجلة يقولون للمسلمين بغير حياء بأن الله أوعد بالنار الأبدية على مَن يعارض الأنظمة الملكية. تذكّر دائماً أن أمر النبي هو "مما تكرهه الملوك"، فإن وجدت دينك لا تكرهه الملوك فأنت لست على دين النبي.

النصّ الثالث: الفقرة واضحة بذاتها فأترك الحديث لكاتب السيرة {ولما قدمت بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر "ائتهم فاعرضني عليهم". فأتاهم فعرض عليهم. فقال لهم "كيف العدد فيكم" قالوا "كثير مثل الثرى". قال "فكيف المنعة" قالوا "لا منعة، جاورنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم".} أقول: إلى هنا الكلام لأبي بكر، فلمّا سمع النبي ذلك من جبناء العرب الذين يخافون من الفرس، تحدّث مباشرة لهم، {قال "فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تُسبّحوا الله ثلاثاً وثلاثين وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين وتكبّروه ثلاثاً وثلاثين". قالوا "ومَن أنت". قال "أنا رسول الله". ثم مرّ بهم أبو لهب فقالوا له "هل تعرف هذا الرجل"، قال "نعم"، فأخبروه بما دعاهم إليه وأنه زعم أنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال لهم " لا ترفعوا بقوله رأساً فإنه مجنون يهذي من أمّ رأسه"، فقالوا "لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر".} أقول: أوّلاً، لاحظ أن محاربة الفرس كانت معلومة لهم أنها من أمر النبي، فمن صلب دين النبي محاربة الملوك، والسبب واضح وهو أن الملوك تكره ما يدعوا إليه النبي كراهية حرب وليس كراهية ذوق، أي لن يتركوا النبي يدعوا إلى دينه عندهم وسيمنعون ذلك بالقتال، لذلك كان النبي يبحث عن أهل عدد ومنعة وقوم على استعداد لمحاربة كل طغاة الأرض لإيصال الرسالة لمشارق ومغارب الأرض. ثانياً، لاحظ مدى جبن العرب هؤلاء حيث حكموا بجنون النبي فقط لأنه "ذكر من أمر فارس ما ذكر"، وهؤلاء مثل كثير من عرب زماننا ممن يخاف من الملوك أكثر مما يخاف من ربّه وبمراحل، وإذا سمعوا مَن يرفض الملكية ويعارضها ويدعوا إلى إبادتها سيقول مثل ما قال كفّار العرب القدماء للنبي في ذلك الزمان، لكن جبناء وأذلاء وسفلة عرب زماننا لديهم سلاح آخر غير مجرّد الرفض وهو سلاح الدجل الديني الذي يزعمون به أنهم على الحق المبين من الرب العظيم في خضوعهم كالكلاب والدواجن للملوك الطغاة في بلادهم. وحين تسمع، وقد سمعنا، رمي أنصار الحرية الروحية والسياسية من أعداء الملكية بأنهم مجانين يهذون من أمّ رؤوسهم والدعوة إلى أن لا يرفع الناس بقولهم رأساً فاعلم أن هؤلاء الذين يقولون ذلك في هذا الزمان هم مجرّد تجلي من تجليات النفس الخبيثة لأبي لهب لا غير. وحين تقرأ "تبّت يدا أبي لهب وتبّ" فاعلم مَن هم الذين تقرأ عليهم التبّ،

فإنهم أحياء في زمانك فاعرفهم واحذر إن كنت تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر من أن تكون منهم.

ج- جوهرة ثالثة ونختم بها إن شاء الله هذه المقالة، تتعلّق بسبب إيمان أول فرقة من الخزرج بالنبي صلى الله عليه وسلم. فقد وجدت أنهم أسلموا لثلاثة أسباب، بعضها لعله أقوى من بعض.

السبب الأوّل، نفساني. وهو ما عبّرت عنه الرواية بأنهم {رأوا أمارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة}.

السبب الثاني، عقلاني وفيه بُعد سياسي. وهو ما عبّر عنه الرواية هكذا {فقال بعضهم لبعض "تعلمون والله أنه للنبي الذي يوعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه. لأن يهود كانوا إذا وقع بينهم وبينهم شيء من الشرّ قالوا لهم "سيُبعث نبي قد أظل أي قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتلة عاد وإرم"}. فهو عقلاني من حيث أنهم أخذوا أفكار من أحبار اليهود وعامّتهم، وهم أهل كتاب إلهي في الأصل، وبناء على ذلك بنوا قرارهم الذي فيه بعد سياسي وهو الحفاظ على جماعتهم وأنفسهم من الإبادة التي توعدهم بها اليهود، فمن العقلانية أن ترى الأفكار في واقعك وتعمل بحسب مقتضى ذلك. وقد أخذوا الفكرة من اليهود ورأوها متجسدة في نبينا محمد، وحينها اتبعوه.

السبب الثالث، سياسي بحت. وأرى أن هذا أهمّ سبب وهو الذي يفسّر إمكانية وجود أي فعالية للسببين الأولين، فإن "أمارات الصدق" لا تكفي لبيان سبب هذا الإيمان والاتباع السريع لأهل المدينة (مع بقاء عناصر مضادة لمحض الإيمان فيهم كالعصبية حتى كان الأوس يرفضون أن يكون إمامهم في الصلاة أحداً من الخزرج والعكس، وكالشتائم العصبية وغير ذلك مما هو معروف)، وكذلك فكرة تصديق اليهود لا تكفي لأنهم لو كانوا فعلاً يصدّقون اليهود في أنبائهم، لدخلوا في دينهم من قبل، فهذا أمر وإن كان له وجه فهو ضعيف لا يفسّر ما حدث. وأما هذا السبب الثالث فهو يفسّر ما حدث، لا أقلّ كبداية وسبب مبدأي لاتباع النبي، وهذا نصّ الخزرج الذي يكشف نيّتهم حيث خاطبوا النبي بقولهم {إنا تركنا قومنا بينهم من العداوة والشر ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك}. كانت الحرب ما بين الأوس والخزوج ما بين مائة ومائة وعشرين سنة. هذه المحاربة والمقاتلة المستمرة لكل هذه الفترة تجعل أي أمّة راغبة في الخروج منها بأسرع وقت. فكما أن الأوسي كان يرفض في أول الأمر الصلاة وراء الخزرجي حتى بعدما أسلموا جميعاً، والعكس صحيح، فإن نهاية المحاربة كانت تحتاج إلى سبب خارجي، في الصلاة كان يؤمهم أحد المهاجرين من أصحاب النبي، كذلك

فـي السياسـة لإنـهاء هـذه الحـرب الأهـلية كـان لابـد مـن سـبب خـارجـي، لـكن لـيس أي سـبب خارجي، لأنه إن كان مجرّد شخص من قبيلة عربية أخرى فأوّلاً لا معنى لاتباعه وكيف يمكن جمع الناس عليه، وثانياً قد يأتي بعد ذلك بقبيلته ويحتلّهم أو يستعبدهم، أما سيدنا محمد فقد كان أحسن حلّ، لأنه من جهة شخص خارج عن الأوس والخزرج واليهود فهو فرد مستقل عن جميع الأطراف المتصارعة في المدينة، ومن جهة ثانية هو شخص مستضعف طريد من قبيلته وبينه وبينهم محاربة وعداوة فلا خوف على أهل المدينة من الاحتلال الخارجي عبر قبيلة السيد الجديد لأنه أصلاً جاءهم لكي يحمونه من أهل بلدته تلك فلا خوف عليهم من هذه الناحية، ومن جهة ثالثة هو شخص له دعوة سماوية إلهية بالتالي طاعته لا تعني الذلّة التي يكرهها العرب عموماً (آه، عرب ذلك الزمان كانوا يكرهون الذلّة، فماذا نسمّي عرب اليوم عبيد الملوك طواغيت الجنود؟)، ومن جهة رابعة توجد قضية أنباء اليهود بقرب مبعث نبي، ومن جهة خامسة وهي كبرى بحد ذاتها وهي أن الذين يتحاربون داخل بلادهم لمدة مائة سنة لن يشعروا إلا بالراحة والخلاص حين تتحوّل الحرب من بين الإخوة وأبناء العمومة إلى الحرب ما بينهم كصفّ واحد وما بين العدو الخارجي وأي مصدر آخر خارجي إذ بعد مائة سنة من الحرب سيوجد يأس معقول من وجود حلّ داخلي للصراع فلن يكون ما جاء به النبي من الحرب المفتوحة مع الخارج إلا نوع رحمة للأوس والخزرج ووسيلة لحل الصراع الداخلي الفارغ إلى صراع خارجي معقول وعادل. قوّة هذه الوجوه ومعقوليتها هي حسب رأيي السبب الأساسي لإسلام مَن أسلم من الخزرج والأوس، ثم على هذه القاعدة الصلبية من الواقعية السياسية والمنفعة الاجتماعية يمكن تأسيس ما شاء الله من المحبة الروحانية والدراسة الإلهية. وقد نصّوا في رواية أخرى وكشفوا نيّتهم هذه والربط ما بين إيمانهم بالنبي وما بين حدوث الصلح الداخلي ما بين الأوس والخزرج حيث قالوا للنبي {لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعزّ منك}. أقول: النصّ صريح في بيان ما أرادوه بشكل رئيس من اتباع النبي، وهو "يصلح ذات بيننا" و " يجمعهم عليك" و "اجتمعت كلمتهم". مصيبتهم كانت في الفرقة والنزاع الداخلي، وأرادوا لها حلاً، ووجدوه في النبي. فكل شيء كان أهون من استمرار المحاربة الداخلية، والاغتيالات ما بين الأفراد حتى أنهم بعدما أسلموا وشهدوا معركة بدر طلب أحدهم اغتيال الآخر لأن الآخر قتل أباه وفعلاً قدر عليه بعد ذلك في معركة أحد واغتاله في المعركة، تصوّر إلى هذه الدرجة، حتى بعدما أسلموا كانوا يغتالون بعضهم بعضاً وفي ساحة معركة مثل بدر بل ومثل أحد، (هذا رد على مَن يزعم أن كل مَن حضر معركة بدر صادر مقدّساً معصوماً أو شيء من ذلك). فإن كان هذا هو الوضع بعد الإسلام ومع حضور النبي، فلك أن تتخيّل كيف كان الوضع قبل

ذلك. بالتالي، اتباع الأنصار للنبي لم يكن قراراً روحانياً خالصاً، بل كان سياسياً مشوب بالروحانية، أو لنقل أنه كان سياسياً خالصاً في الأصل وبعد ذلك بدأت الروحانية تدبّ فيه شيئاً فشيئاً. ما بين "أمارت الصدق عليه لائحة" والمنافسة مع اليهود على مَن يقتل الثاني أولاً، وإنهاء الحرب الأهلية في المدينة، لا أظنّ أن الروحانية لها مكان كبير إلا كشيء لاحق وتابع. هذه الحالة يصدق عليها "مصائب قوم عند قوم فوائد"، إذ كانت مصائب القوم في يثرب فوائد للنبي ومن معه في مكة. لماذا نقول ذلك؟ حتى ننبه على أهمّية البُعد السياسي في الشأن الديني. فالدين عندنا روحانية وسياسية. هكذا هو دين النبي، من أوّل يوم. والسياسة تجبر أهل النبوة وحملة الرسالة على النظر إليها، لأن الناس لن يدعوا الكلمة تنطلق بحرية في الأرض إلا بقوّة، وكذلك الظالم لن يردعه إلا قوّة أشدّ من قوته. روحانية بدون سياسة تعني روحانية ممسوخة تابعة للسياسة القائمة. فليس من قليل كان المتحدّث عن النبي والنبي يسأل عن الحالة السياسية للقوم الذين يدعوهم ويعرض عليهم منعه وحمايته فيسألهم أسئلة من قبيل "كيف العدد فيكم" أو "فكيف المنعة" أو "أمن موالي اليهود" ونحو ذلك من أسئلة لا علاقة لها بصلب الدين بمعنى الروحانية الخالصة.

الخلاصة: قراءة سيرة النبي تعلّم للدين الحقيقي من جهة، وفضح للدجل والتزوير القائم باسم دين النبي.

...

ليس المهم أن تقول شيئاً جديداً، المهم أن تقول شيئاً حقيقياً أو نافعاً.

...

لأن تصيبك مصيبة فتدعو الله أفضل من أن لا تصيبك المصيبة وتغفل عن الله. فالمصيبة تزول وبركة الدعاء تبقى إلى الأبد، فقد قال "ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم"، فدلّ على أن الذين يدعونه سيدخلون الجنة، بالتالي المصيبة التي تدفعك للدعاء هي في الحقيقة رسول الله لك جاء ليأخذك إلى الجنة، فهي رحمة ونور في حجاب ظلمة وألم، فاكشف حجابها بالترحيب بها كوسيلة للدعاء ومناسبة للصلاة وعيد لذكر الله بصدق الالتجاء. إذا كانت السلامة سبباً لتفرغك للذكر والدراسة القرآنية، والمصيبة سبباً للتوجّه بالدعاء والابتهالات الربانية، فقد صارت حياتك كلها نور على نور، ومن نور إلى نور، أياً كانت الصورة ومهما كانت الحالة. فطوبى لك وحسن مآب.

...

من أعظم نِعَم الله عليّ أني رأيت مؤمنات ومؤمنين حقيقيين وليس بالاسم فقط. ناس فيهم عقل وجمال ظاهري وباطني، ولهم مال ودنيا إن شاؤوا، ومع ذلك يفضلون ذكر الله على اللهو، ويرون نور الله الحي في أوليائه الأحياء، ويحبون سماع كلام الله ودراسته، ويسخّرون أنفسهم وأموالهم في سبيل الدعوة إلى الله. أن ترى واحداً من هؤلاء مرة أحسن من أن ترى عجائب الدنيا وأهلها سبعين مرة.

...

إذا كان الله يستجيب لك ويعطيك حين لا تسأله، فمن باب أولى أن تؤمن بأنه سيستجيب لك ويعطيك حين تسأله. فإذا سألته ولم ترى أُعطيته، فاعلم أنك إما لا ترى أعطيته وإما لم تفهم حكمة ورحمة منعه، لذلك إذا سألته فاقرن سؤالك بطلب تأييدك بالرؤية والفهم عنه.

...

كثير من الناس يمرّ من أمام باب الجنّة فيبصق عليه ويجري إلى النار فيقفز فيها. انظر جيداً وسترى هذا يومياً. يسخرون من أولياء الله ويُعظّمون أعداء الله، يجدون مجلس الذكر والفكر فيتركونه ويُقبِلون على مجلس اللهو واللعب، يرون كتب العلم والحكمة فيرفضونها ويرون كتب الخيال والسفاهة فيقرؤها. صورة هذه الأعمال هي أنهم في الحقيقة رأوا الجنة ومروا أمام بابها لكنهم أعرضوا عن الباب أو بصقوا عليه ثم قذفوا بأنفسهم في النار، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعا.

...

أن ترضى بحرق المبنى وتشتكي من حرق غرفة من المبنى يدل على أنك تحكم بالهوى. أن تقبل الفعل الأكبر وترفض الفعل الأصغر منه يدل على أنك تحكم بغير العدل.

هذا جوابي المبدأي لمن يقبل بوجود وعمل الدول "الإسلامية" عبر التاريخ في سياستها الداخلية والخارجية، ثم يرفض وجود وعمل الدولة "الغربية" وتحديداً الدولة الأمريكية في سياستها الخارجية والداخلية. لو عملت أمريكا ما كانت ولا زالت تعمله الدول "الإسلامية" مع الدول والمجتمعات الأخرى، ثم قارنته بما تفعله أمريكا اليوم، ستجد أن أمريكا اليوم رحمة للعالمين. المقارنة العقلانية الواقعية ستكشف هذا بوضوح لكل مُنصف. لذلك أنا أرفض تقييمات أمريكا مِن مَن يؤمن ويُعظّم أو يقبل بوجود دول "الخلافة الإسلامية" في الماضي أو مسوخها الباقية اليوم في شكل ملكيات ودكتاتوريات. "قتل المُقاتِلة وسبي النساء والذرية" و "تقسيم الأرض المفتوحة على الفاتحين" و "تخييرهم ما بين الإسلام أو الجزية أو القتال"، هذه فقط كافية للتمييز ما بين سياسة "الخلفاء" الخارجية التي يسمونها "إسلامية" وما بين السياسة

الخارجية الأمريكية. لو طبّقت أمريكا أحكام "الشريعة" في الفتوحات، لتمنى الناس كفر أمريكا بالشريعة قلباً وقالباً.

...

أنا لا أتعصب لأحد بسبب اسمه، وأحكم على نفسي قبل الحكم على غيري، وإن أخطأت تراجعت بفرح وأعلنت.

...

إذا سها الإمام لابد من سجود المأموم، لكن إذا سها المأموم فمن الفقهاء مَن قال لا يسجد ومنهم من قال (وهو رأي شاذ) أنه يسجد للسهو. ما تأويل ذلك؟

منهم مَن نظر إلى الإنسان كفرد في الجماعة وأنه يفقد فرديته حين ينضم إلى جماعة، ومنهم مَن نظر إلى الإنسان كفرد دائماً ومطلقاً ولو انضم إلى جماعة فإنه يبقى فرداً مستقلاً مسؤولاً عن ذاته عند الله. الفريق الأول هم الجمهور، لذلك نظرتهم سالبة للفردية. الفريق الآخر هو رأي شاذ، لذلك نظرته مؤيدة للفردية وأن الإنسان ما دام في الأرض فهو "شاذ" بمعنى أن له مسؤولية ذاتية لا يُمكن سلبها.

أهمّية اختيار الإمام والقائد والرئيس في كل اجتماع إنساني تنكشف عبر هذا الخلاف الفقهي. فإن الرئيس إذا ضلّ ضلّ بضلاله كل أتباعه، بالتالي أخطاء الرئيس يتحمّلها العامّة أيضاً معه، فلا يستطيع العامّة الذين ينتخبون رؤسائهم التملّص من مسؤولية قرارته بحجّة أنه "هو فعل ذلك وليس نحن"، إذ بانتخابهم له صار ممثلاً لهم ووكيلا عنهم فكما أن حسنات قرارته ترجع لهم كذلك سيئات قرارته ترجع عليهم. هذا في الدنيا على الأقلّ. أما في الآخرة فالمسؤولية فردية مطلقاً، "كلهم آتيه يوم القيامة فردا"، وهو ما عبّر عنه الرأي الثاني الشاذ الذي أوجب على المأموم السجود للسهو إن سها ولو لم يسهو الإمام، فهذا ناظر إلى الضمير الذاتي والصلة المباشرة بالله. ففي الدنيا، فعل الرئيس فعل المرؤوس ما دام مُنتخباً منهم، لكن في الآخرة لكل فرد حسابه الخاص.

الرأي الأول ينظر إلى المبدأ كحقيقة متعالية لكنها سارية في جميع مظاهرها، والمظاهر تابعة لها. أما الرأي الثاني فينظر إلى المبدأ كحقيقة ذاتية شخصية وكل شخص فيه المبدأ بتمامه.

الرأي الأول يعزز عقلية القطيع، الرأي الثاني يعزز عقلية الاستقلال. فالأوّل أنسب للدول الديكتاتورية، والثاني أنسب للدول الديمقراطية. لأن الأول يقول لك "حتى إن سهوت أنت فطالما أن الإمام لم يسهو فلا شيء عليك" بالتالي سهوك لا قيمة له وإن كان سهواً، فهو سهو في الحقيقة لكن مُحي عنك بفضل دخولك في جماعة لم يسهو قائدها، لكن هذا سلب لحقيقة

شيء قائم، فأنت في الحقيقة سهوت، ولو كنت تصلي وحدك لوجب عليك سجود السهو، فعدم إيجاب السجود عليك فقط لأنك في جماعة يعزز عقلية سلب المسؤولية الفردية، بدليل أن العكس سيوجب عليك السجود، أي إذا لم تسهو أنت لكن سها الإمام فيجب عليك السجود معه كأنك سهوت، فالدخول في جماعة سلبك فرديتك تماماً، حين لا تسهو تُعامَل كأنك سهوت وحين تسهو تُعامَل كأنك لم تسهو، هذا قلب للحقائق، فالجماعة تقلب الحقائق. من هنا جاء الرأي الآخر ليقيم الأمور على أقدامها ويُبقي الحقائق على أصلها، لكنه لم يذهب إلى النهاية المنطقية، بمعنى أنه أوجب على المأموم سجود السهو إذا سها لكنه أوجب عليه أيضاً اتباع الإمام في سهوه، فقد أخذ نصف الحقيقة وحافظ عليها وطرح النصف الآخر، إلا أن لفعله هذا مبرر من وجه وهو أن الإمام إذا سها ولنقل أنه صلّى ثلاث ركعات بدلاً من أربع، فالنتيجة أن من خلفه كلهم قد صلّوا ثلاث بدلاً من أربع فحتى ينجبر هذا النقص وجب سجود السهو. إلا أنه يمكن الرد على ذلك بأنه على المأموم أن ينظر لنفسه طالما أنه لم يسهو، فإذا رأى المأموم أنه صلى ثلاثة فيجب عليه القيام وإتمام الرابعة وخطأ الإمام على رأسه وحده. بعبارة أخرى، تكون الصورة الكاملة للعمل معلومة لكل المصلّين، والإمام مجرّد قائد نسبي لإتمام هذه الصورة، لكن تبقى مسؤولية كل فرد في إتمامها فردية، ومَن سها فعليه السجود، ولكل مصلّي القيام بالصلاة كأنه يصلّيها وحده، فالاجتماع صوري فقط والإمام الحقيقي هو الصورة الشرعية الكاملة للصلاة، أي تكون الشريعة هي الإمام، وأما الإمام الإنساني فهو تابع للشريعة، والأتباع المأمومين للإمام الإنساني في الصورة إنما يتبعونه بعينهم الظاهرية لكنهم يتبعون الشريعة بعين قلوبهم. هذه العقلية في الصلاة ستؤدي إلى بناء دولة يكون فيها القانون هو الأساس والباقي موظفين لا قيمة لهم إلا بالقدر اللازم للعمل بالقانون. الحاصل الآن في الصلاة هو الحاصل في الدولة، وقد عرفنا مراراً أن الصلاة هي الصورة الروحانية للدولة السياسية، فالصلاة أساس الدولة وعقلها وقلبها النابض، هذا لا يعني أننا نصلّي من أجل إقامة دولة، بل العكس تماماً، نحن نقيم الدولة حتى نصلّي، أي نريد أن تكون صورة دولتنا كصورة صلاتنا حتى تكون الأرض تابعة للسماء والجسم تابع للروح والوسيلة تابعة للغاية والدنيا تابعة للآخرة والعبد تابع للإله.

إذا نظرنا في دول المسلمين عموماً سنجدها تعكس فعلاً صورة صلاتهم بدرجة ما. مثلاً، ستجد في الدول الطغيانية أن الدولة تعيّن أئمة المساجد وليس للناس اختيار فيه ذلك في كل مسجد، فلمّا سُلب الناس الاختيار في تعيين إمام صلاتهم سُلبوا بالتبع الاختيار في تعيين رئيس دولتهم. ستجد الناس يدخلون المسجد للصلاة لإقامة صورتها بدون دراسة القرءان بعدها، ودراسة القرءان قلب الصلاة وغايتها، فزال العقل من الصلاة بزوال مقصد دراسة

القرءان، كذلك ستجد على مستوى الدولة العامّة لا يبالون أو لا يفهمون ما تقوم به الدولة وليس لهم أصلاً الحق في المطالبة بفهم أسباب أعمال الدولة. ستجد مثلاً أن المأموين يتابعون الإمام في السهو مطلقاً، إن سها تصرّفوا كأنهم سهوا وإن لم يسهوا تصرفوا كأنهم لم يسهوا وإن سهوا، فلا قيمة للمأمومين من حيث هم أفراد، كذلك ستجد على مستوى الدولة أن العامّة لا قيمة لهم في وضع قانون فعّال أو تنفيذه أو مراقبته وفرضه على عمّال الدولة بل هم في حالة سلبية واستقبال تام تقريباً أو مطلقاً. وقس على ذلك. أحكام الصلاة هي أحكام الدولة. والدولة تستعمل الصلاة لوضع الأسس في نفوس الناس التي تريدها منهم في علاقتها بالدولة. نعم، قد يقلّد الناس في زمن ما وضعه السابقون، لكن ستجد بدرجة أو بأخرى انعكاساً وترابطاً بين المجالين. هذه مفاتيح فتأمل.

...

(تعريفات)

الحب : أن تكون مع شخص بدون أن تشعر بأنه غيرك مع الارتياح لذلك.

الثورة : حين يُفضّل بعض الناس أن تغتصبهم الطبيعة بدلاً من أن تغتصبهم الدولة.

الثروة : أن تصوم وتضحك.

التدين : أن تَحِنّ على ورقة شجر مُلقاة على قارعة الطريق.

الوطن : المكان الذي تستطيع أن تشتم فيه الرئيس وأكثر الناس ومع ذلك تعيش عيشة طيبة ومستقرة بل وتصبح مشهوراً.

العُمر : غمضة عين وزفرة نَفَس وموجة على سطح البحر.

النظافة : أن تنسى جسمك ويُركّز مَن يراك على كلامك.

الكتاب : تنزّل الرب للناس.

...

ذكر لي كلمة من كتبي وهي "الله مسجون في علمه" وسأل: إزّاي؟

قلت: أولاً: علمه ذاتي له لا يمكن أن لا يكون، بالتالي لابد له أن يكون عالماً بكل شيء، "وهو بكل شيء عليم"، فلا يستطيع التخلص من معلوماته اللانهائية وأن يكون واجداً عاقلاً لها. فهذا نوع من التقييد للذات. ثانياً: حين يفعل شيئاً فإنما يفعله على حسب مقتضى علمه. فالعلم تابع للمعلوم، والمعلوم حقيقته وكيفيته أزلية لأنه على ما هو عليه بغير جعل جاعل، فالله لم يجعل الخمسة بعد الستة والستة أقل من السبعة وهكذا في كل معلوماته فلها حقيقتها الذاتية الأزلية، وحين يُظهر معلوماً ما بإرادته وقدرته في الخلق فإنه لابد أن يُريد ما هو معلوم له ولابد أن تتعلق قدرته فقط بما هو ممكن في علمه وعلى حسب صورته في علمه، وهذا قيد من نوع ما. ثالثاً: كل معلومات الله هي تجليات لوجوده، فوجوده مستجن يعني كامن ومتحقق في كل مرتبة علمية وفي حدود كل معلوم ، فكل معلوم له كيفية مخصوصة فهي حدوده ووجود الله ظاهر في هذه الحدود لأن الله محدود بكل حد لأنه متعالي على كل حد. وهذا سجن آخر من نوع ما. السجن قيد وحد وبمعنى الكمون في الشيء.

قال: ثانيا وثالثا وكل ما ظهر في الخلق له حقيقية في "الحق" يعني العلم من الله فازاى الله هيكون في العلم؟، زي ما القلب من أجزاء الجسم فهل أنا سجين القلب؟ فهو تقيد للذات زي في أولا، ولكن مينفعش يكون سجن لأنه عنده القدرة في اي وقت يتحرر من سجنه، السجن سلب للحرية والواحد اللى بيختار ينعزل او يختلى بنفسه ويقيد نفسه بنفسه مبيكونش مسجون لانه عنده القدرة انه يرجع حريته تاني. بغض النظر عن ان تقيد النفس بالنفس حرية. لكن كلمة مسجون تحديدا هل هي ادق وصف للغرض اللى عايز توصله؟ ولو هي ادق وصف فده معناه ان الله مش قادر على التصرف مش كده؟ انا شايف إن العلم هو جزء منه زي الرحمة والقهر وكده مينفعش يكون مسجون فيه لانه هيكون حصر لله في اسمه "العليم" بس. ولا حضرتك شايف ايه؟ انا مبحبش كلمة حضرتك والله بس مش مشكلة(وضحك) وليه اتباع العلم لما يعرفوا ان الله مقيد بعلمه هيعظمه التقيد؟ طب هيدعوه ازاى؟ ما ممكن يكون فرض على نفسه قيود
غير قيد العلم

قلت: جوابك سؤالك في جوابك. لاحظ أنك قلت عن معنى مسجون بأنه "فده معناه أن الله مش قادر على التصرف مش كد؟". نعم هذا هو الجواب. الله جل وعلا غير قادر على أن لا يكون عليم، غير قادر على تغيير مضمون علمه، فالقدرة لا تتعلّق أصلاً بهذا الأمر فهو استحالة مطلقة، بالتالي يوجد نوع من "السجن" هنا.

أما عن كون العلم جزء منه مثل ما أن القلب جزء من الجسم، فهذا قياس مع الفارق وهو قياس غير صحيح. فالله ليس من أجزاء حتى يكون العلم أحد أجزاء ذاته، بل هو وحدة أحدية مطلقة. وقد بيّنت لك ثلاثة وجوه لمعنى تقيده بعلمه سبحانه، وأنت ذكر وجهاً من عندك لم أذكره ورددت عليه. فتأمل.

وأما عن اتباع العلم: فالعارف بالله يريد أن يكون بأكبر قدر ممكن متخلقاً بأخلاق الله ومتمثّلاً لحقائق الله في ذاته. فبما أن الله مقيد بعلمه، فكذلك العارف سيعظّم العلم ويتقيّد به. لذلك سمّاهم في أعظم مقام وهو مقام الشهادة على الوحدة والقسط ب""أولوا العلم"من دون بقية الأسماء.

أخيراً، قد يستعمل العارف أحياناً لغة صعبة لتوصيل فكرة دقيقة وصادمة، فلا تدقق كثيراً في كل الاحتمالات غير المرادة من الكلمة وركّز على المراد منها فهذا أنفع لنيل المطلوب والانتفاع بالرسالة.

قال: أيوة ما علشان كده سألت، لأني استغربت الكلمة. فيه ناس مش هعرف اسالهم عن معاني الكلام اللى كتبه بس أنت عادي ممكن اسألك. لو بتضايق من السؤال مش هسأل عادي.

قلت: لا طبعاً. سؤالك أحب إليّ من قبولك بدون سؤال. فاسأل كما تحبّ..

...

قالت: السلام عليكم كيفك أستاذنا و معلمنا القرآن سلطان .. عندي استفسار صغير أبحث عما إذا كان لهذا الشي تفسير ودلالة بهذه الأيام تقريبا اسبوع كل كم ساعة خلال اليوم الواحد بتجي فبالي آية الشعراء وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين بشكل غريب جداً في وسط ما اكون مشغوله وبالي مركز في امر آخر تماماً فجأة بقول الآية بلساني.. هل في ذلك من دلالة معينة أو أمر لابد من عمله تجاه هذا الأمر برأيك ؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مرحبا سمية الحمد لله بخير وعافية الله يسلمك ويسعدك ويرفع قدرك الله أرسلك لي حتى تذكريني بهذه الآية. هذا أول معنى. ثاني معنى: ابدأي بعمل مجلس قرءان في بلدك للناس الذين تثقي بهم. وادرسي معهم القرءان عبر كتبي ومجالسي المنشورة عندك، وعبر القرءان مباشرة بحسب ما يُفتح لكم، وصلوا مع بعض. فقد جاء وقت ظهور سنة موسى .

قالت: الله أكبر

قلت: "كبّره تكبيرا" فابدأي العمل.

...

قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، صبحك/مساك الله بالخير حسب توقيتك. أعتذر ع الإزعاج بس حبيت آخذ من فهمك وتدبرك اذا لك علم بقوله تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) صراحة إستوقفتني الآية وكيف أن حتى أن أكثر من يؤمن بالله يقع منهم شيء من الشرك. ما هو هذا الشرك الخفي وكيف يكون التوحيد الخالص؟ جزاك الله خير وبارك فيك وزادك علم وبصيرة.

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. مرحبا الله يسعدك وينور أيامك. المشرك هو الذي يرى الالوهية كجنس تحته أشخاص كثيرة ممكنة أو واقعية. يعني مثل ما أن الإنسانية جنس، ويوجد هذا الإنسان وذاك الإنسان ويوجد أناس كثر ويمكن أن يوجد أناس كثر. ومثل ما أن الحيوانية جنس، وتوجد حيوانات كثيرة في الواقع والخيال. كذلك بعض الناس يتصور الالوهية مثل ما يتصوّر أجناس المخلوقات، فيعتقد أن لها أشخاص كثر. لماذا؟ لأن عقله محصور في الكون. عقله مقيّد بصور العوالم. فلا يعقل شيئاً مما فوق الطبيعة، وما وراء الخلق والممكنات الذهنية. ينظر عقله إلى الكثرة حصراً. بالتالي، حتى حين يؤمن بالله فإنه يعتبره موجوداً مثل موجودات العالَم من هذه الجهة الجوهرية. لذلك قال "وهم مشركون" فذكر صيغة الاسم، التي تدل على الثبات. ولم يقل "وهم يشركون" بصيغة الفعل. لأن صفة عقولهم الثابتة هي أنها محصورة في الخلق، وتقيس الله على المخلوقات. فالشرك راسخ فيهم. التوحيد الخالص هو أن تبحث عن موجود ليس من جنس الموجودات، وتسلك في طريق معرفة حقيقة ما وراء الحقائق والكثرات. ولولا أن فيك ذاتك سرّ ما وراء الموجودات، لما أمكنك أن تعلمي بوجود هذا الموجود الواحد الأحد المتعالي على الكثرة والتعدد والجنسية في الذات. ابحث عن هذا السر، وغص لهذه الحقيقة. ولا تستوحش من ترك العوالم وراء ظهرك، لأن الاستيحاش من شيء ما وراء العوالم التي اعتدت عليها ونمط التفكير الذي اعتدته في الكون هو الأساس الذي يجعل الإنسان مشركاً. فلابد من خرق العادة، وكسر النمط المريح من التفكير، والنظر إلى ما وراء كل شيء. حينها ينفتح باب التوحيد الخالص. "فاعلم أنه لا إله إلا الله".

...

كل ما تريده النفس لتسعد كامن في أمرين: الحب والقراءة.

الحب توحد النفس مع مثلها، مع زوجها الذي فيه مثل روحها. هذا التوحيد يفتح أفق متعالي على الزمان والمكان، ويجعلها لا تشعر بالزمان والمكان الطبيعي، ويحصل لها حدس مباشر

بحقيقة روح زوجها فتتصل بذاته ومن توحيدهما تنكشف لهما سر الأحدية الإلهية. "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون".

القراءة سباحة النفس في النور العقلي، في الكلمات اللانهائية التي هي أشعة شمس الروح في أفق العقل، لكن القراءة تحتاج إلى زمان (حركة من حرف إلى حرف) وإلى مكان (بالضرورة كتابك جسم طبيعي)، لكن بالقراءة يتقدّس الزمان والمكان لذلك حين تستغرق في القراءة تدخل في حالة نشوة عقلية تجذبك للفكر والشعور والخيال بنحو يُغيّبك عن محيطك فلا تشعر بمرور الزمن ولا بما حولك بل وبمن حولك. فالقراءة سباحة في آثار الأسماء الإلهية. "اقرأ باسم ربك الذي خلق".

الحب نشوة من ما فوق الطبيعة. القراءة نشوة من قلب الطبيعة. فمن اجتمع له الحب والقراءة، وجمعهما بجهاد متواصل واستعانة بالله وتوكل عليه، فقد أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة وتمّت نعمته ونعيمه في هذا العالَم وإلى الأبد برحمة الله. "ولمن خاف مقام ربه جنّتان".

...

لي معبد خاص ومعبد عام.

معبدي الخاص : بيتي.

معبدي العام : المكتبات العامة والحدائق العامة وكل بيئة طبيعية مفتوحة للعامة.

...

"اضرب بعصاك البحر فانفلق"

تحت الفرعنة، حيث السياسة العامّة هي "لا تشتري العبد إلا والعصا معه"، يتم ضرب عقول الناس بعصا القهر فتنفلق عقولهم فتتعدد وتنقسم. الأصل السليم أن يكون العقل موحداً، فحين تفكّر تفكّر بكل عقلك وحين تذكر الله تذكر بعقل واحد وحين يكون باطنك في شغلك يكون ظاهرك أيضاً في نفس الشغل المناسب له وكذلك حين يكون ظاهرك في شغل يكون باطنك في شغل مناسب له ولا يوجد انقسام بين عملك الفردي وعملك الاجتماعي بمعنى أنك حين تعمل عملاً لا تنظر إلى مَن حولك لترى قبولهم لعملك أو لتوهمهم بأنك لست شاذاً عن النمط العام للقطيع فتتغيّر من أجلهم كأن تكون في جلسة ذكر أو تأمل أو صلاة فتُغيّر من وضعيتك حين ترى شخصاً حولك لكي لا يدرك أنك في هذا العمل الغريب أو أن لك ميولاً باطنية. انقسام العقل إلى مفكّر ومتذكّر، وانقسام العقل إلى ذاكر ومتخيّل، وانفصال الباطن عن الظاهر، وتباين الفرد عن المجتمع مع إيهام التطابق، هذه كلها أضداد وحدة الإنسان وأعداء توحيده.

أساسها فينا هو الاعتياد على عيش في مجتمع فرعوني، وقد توجد أسباب أخرى لأناس آخرين.

تطهير الوعي من هذه الأعشاب السامّة هو عمل أساسي من أعمال زرّا ع الآخرة وحديقة النور في نفوسهم. في المجتمع الحر المفتوح، لا تحتاج إلى هذه الانقسامات، فراقب عادتك وانتبه لها، في أوّل انتقالك من المجتمع المستعبد المغلق إلى المجتمع الحر المفتوح ستجد آثار عاداتك السيئة العقلية والعملية الموروثة من تلك العيشة المظلمة، ومن أهمّ ذلك انقسام العقل وتشتت العمل. في المجتمع الحر، الفكرة هي الفردية، يعني لا داعي أصلاً ولا حجّة لمن يقسم نفسه مراعاة لمن حوله، هي مراعاة وهمية في هذه الحالة إذ لا يبالي من حولك أو لا حق لهم في أن يتدخلوا بشأنك الخاص، فحين تكون في عمل فاجعل كل تركيزك فيه ظاهراً وباطناً. هذا من حيث العمل. أما العقل، فاذكر بعقل واحد، لأنه لا يوجد شغل أهمّ ولا أعلى من الذكر، فحين تذكر الله أو تصلّي على النبي مثلاً ثم تسمح لعقلك بأن يخطر فيه شأن من شؤون الخلق أو الدنيا، فكأنك تقول "هذا الشأن أهمّ أو بمثل أهمّية ذكر الله والصلاة على النبي"، وإلا فلماذا تسمح بدخول مثل هذه الخواطر أثناء اشتغال قلبك بالذكر. عقلك منقسم، مضروب بعصا التفريق والفلق، فاجعل المَثّل الفرعوني والهاماني والخواطر التابعة لهما في بحر وعيك وأغرقهم أجمعين، حتى يتوحد عقلك من جديد، وينجو وعيك إلى أرض الوحدة المقدّسة.

قد تعرف أنك تعيش في مجتمع مريض حين تنظر في نفسك السليمة وتقارنه بها، لكن لن تعرف جميع أبعاد المرض إلا حين تنتقل إلى مجتمع أسلم أو مجتمع منفتح على السلامة أو مجتمع مرض أفراده لا يفرض نفسه عليك قهراً. حياة بلا ثورة أو بلا هجرة هي حياة بلا حياة.

...

(قواعد للتفكير السليم)

لاحظت في حواراتي مع بعض الناس ممن يعيش في الحجاز المُحتَلّ من خوارج العصر، القريب منهم والبعيد، الشريف والخسيس، العاقل والغبي، المحبّ والمبغض، لاحظت وجود عوامل مشتركة في بعض قواعد تفكيرهم، عوامل متكررة، نسخ كربونية من نفس الصورة العقلية المريضة، بالأخصّ حين يتعلّق الأمر بطاغيتهم. طبعاً لا غرابة هنا، لأن الطغيان من اسمه يشوّه العقول ويخلق بيئة اجتماعية مريضة مُلوّثة، مجرّد العيش تحت الطغيان هو تلويث للعقل حتى إن لم يكن لك-كما يقولون-"تدخّل في السياسة". السياسة ستدخل فيك حتى إن

لم تدخل أنت فيها. وعادةً، حين لا تدخل فيها ستدخل هي فيك اغتصاباً. بالأمس قرأت فصلاً عن الحرب العالمية الثانية، ووجدت اليابانيين لديهم نفس الهوس بامبراطورهم، حتى إن الواحد فيهم كان يدعو لامبراطورهم بطول العمر قبل أن يُقدِم على الانتحار أو الهجوم الانتحاري على العدو كالتعبير بصرخة "بنزاي" الشهيرة، وهمّهم الأكبر قبل الاستسلام للحلفاء كان بقاء الامبراطور رأساً للدولة، ومن جنونهم أنهم كانوا خشية الاستسلام يُلقون أنفسهم، أقصد النساء والأطفال، من شواهق الجبال العالية جداً، أو يُغرقون أنفسهم في البحر بدلاً من قبول يد العون من بحّارة العدو، وهكذا مجانين أصابهم هوس الامبراطور وما يتبع تلك العقيدة الطغيانية اللعينة من آثار في النفوس. الآن، العرب مهما أصابهم المرض العقلي بسبب الطغيان، إلا أنه يبقى على مستوى معين ولا يصل عادةً إلى هذا المستوى لأن العربي صاحب شخصية فردية في الأساس وبغضه للملوك أمر يجري منه مجرى الدم لكن حين يأتي تأثير سحر الدجل الديني مع القهر العسكري فحتى العربي قد يتحوّل إلى صاحب "بنزاي" أحياناً وإن ظاهراً. ومن مظاهر رفض العربي بشكل عام والمسلم منهم خصوصاً للطغيان أنه لا يقبله على مستوى نفسي جذري، بل دائماً لديه مبررات عقلية، أو يراها هو معقولة، تجعله يرى المصلحة أو الأصلح في جانب الخضوع للطغيان. نعم، خوفه وشعوره بالعجز هو السبب الحقيقي الجذري لرضوخه للطغيان، وسرعان ما يتغيّر كل شيء بمجرّد شعوره بالأمن والقدرة، لكنه لا يعترف عادةً بالخوف والشعور بالعجز إلا بصعوبة، ويستر عورته هذه بصور الحجج العقلية، وإن كانت مسحوراً بالدجل الديني فبالحجج النقلية والعقلية. أريد هنا التركيز على بعض الحجج العقلية، لكن ليس من حيث صورة الحجج فقط بل جوهرها. يعني، ما هي القواعد المنطقية التي إن فكّر بها الإنسان، تحرر من تبرير الطغيان؟ هذه بعضها بإذن الله فتعالوا ننظر.

١- ما بين المثالي والقبيح توجد درجات حسنة كثيرة، فرفض القبيح لا يعني وجوب وجود المثالي، بل الأعقل رفض القبيح وأخذ بدرجة أعلى منه والصعود التدريجي في الحسن.

تجد أثر هذه القاعدة حين يقول لك إنسان يعيش في بلد غارق في الطغيان "لكن لا توجد بلد فيها الحرية الكاملة والعدالة الكاملة" ثم حين تذكر له بلداً فيه حرية عالية وعدالة عادلة نسبياً ونظاماً مستقراً متحسّناً مع الزمن، يشير لك إلى حوادث سيئة إما تاريخية بعيدة أو قريبة أو حتى قضايا حاضرة ليقول لك "تريدني أن أترك بلدي وأهاجر إلى هذه البلد التي فيها كذا وكذا" ثم يسرد لك ما في جعبته من جعجعات. الذي لاحظته في مثل هذا السرد، كلامي عن أمريكا خصوصاً والسارد من السعودية لكن أحسب أنك ستجد مثل هذا في حالات

أخرى، هو أن السرد سيتعلّق عادةً إما بأمور تاريخية معدومة اليوم، وإما سيتعلّق بأمور وقعت فعلاً لكن الحدث مُختزَل اختزالاً شديداً يُخفي ما فيه من جوانب حسنة، أو هو حادثة سيئة فعلاً لكنها شذوذ عن النمط العام، أو الحادثة لا علاقة لها بموضوع الحوار أصلاً، أو الحادثة السيئة رحمة عظمى مقارنة بما يعيشه نفس السارد تحت دولته الطاغية ومجتمعه المغلق. فالمجادل هنا يعيش في حالة متدنية جداً، ولنقل أن الكمال السياسي مائة درجة، هو يعيش في الدرجة السادسة، فحين تحثّه على الهجرة إلى بلد في الدرجة الثمانين، يجادلك بهذه العشرين الناقصة، وكأنه يقول "بما أني لا أستطيع أن أجد المائة، فسأرضى بالستة بدلاً من الصعود إلى الثمانين". هذا يشبه أن يكون عند شخص طبقاً فيه طعام مصنوع من براز الكلاب وقيء المخمورين، وحين تعرض عليه طبقاً من الفاكهة الموسمية، يرفض ويبدأ يجادلك بأن الزراعة الحديثة تستعمل الكيماويات وقد سمع أن الفاكهة في الأسواق يتم طليها بالشمع حتى تلمع مع الضوء فتجذب المشترين، طيب فلنقل أننا سلّمنا، فما معنى ذلك؟ معناه عنده أنه يفضّل طبق البراز والقيء على الفاكهة الموسمية ذات الرش الكيماوي والطلاء الشمعي، وكأن برازه واستفراغه هما الحلّ الأنسب في هذه الحالة والاختيار الأعقل. لا تستغرب من هذا المثل وتظن أني أضرب أمثالاً مبالغ فيها، فإن بعض الحوارات التي دخلت فيها فيها من عجائب المقارنات مثل هذا بل لعله أشد.

الذي يهمّني أنا وأدعو إليه الناس دينياً وإنسانياً، هو إما صناعة مجتمع فيها حرية دين وحرية كلام ومساواة (يعني لا ملكية، ولا طبقة نبلاء، ولا كهنوت مفروض على الناس)، وإما البحث عن مثل هذا المجتمع والهجرة إليه. حين أتكلّم عن أمريكا فإنما أتكلّم بالأخصّ من هذه الوجهة. كل أمر بعد ذلك يتبع هذه الأسس (لشرح أوسع، ارجع لمقالتي "سؤال عن الوطن" حيث ذكرت خمسة أصول: الحرية، المساواة، التعددية، المدنية، النظامية.) لاحظ هذه الخمسة لا علاقة جوهرية لها بمدى الرخاء الاقتصادي أو القوة العسكرية أو الشهرة الإعلامية للمجتمع. قد توجد هذه الخمسة في قرية فقيرة نائية، وقد توجد في حضارة عالمية ثرية قاهرة. إيماني واختياري يقولان لي بأن أهاجر إلى القرية الفقيرة النائية إن جمعت هذه الخمسة، ولو كنت من الطبقة العالية في الحضارة العالمية الثرية القاهرة الخالية من هذه الخمسة أو بعضها. فماذا إذا وجدنا دولة فيها الخمسة كلها ومع ذلك رخاء اقتصادي وقوة عسكرية وشهرة إعلامية؟ قد وجدنا الكنز الأعظم في الأرض وأحسن دولة يمكن لإنسان العيش فيها. هذه هي حالة أمريكا. فيها الخمسة كلها (وهي الأمور العلوية)، مع الثلاثة الأخرى (وهي الأمور الدنيوية).

من شأني دعوة نفسي والناس إلى ما هو الأحسن، ظاهراً وباطناً، روحانياً وسياسياً. ومن ذلك، الدعوة إلى (بلسان القرءان) من مصر فرعون إلى الأرض المقدسة. قد ذكرت هذا الأمر كثيراً وسأعيده إن شاء الله أكثر، السعودية اليوم هي أبرز مثال على مصر فرعون وأمريكا هي أبرز مثال على الأرض المقدسة. هذا لا يعني أن الأمور قد لا تتغيّر، بل يمكن أن تتغيّر وستتغيّر فإن كل شيء يتغيّر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لكن كلامي عن الوضع الحالي. وأثناء هذه الدعوة وجدت بعض الناس يستعملون طريقة مقارنة الشديد الحسن بالكامل المطلق ليقنعوا أنفسهم بالبقاء في السافل المنحط. وقد سمعت العجائب.

مما سمعته "في أمريكا عنصرية، انظر ماذا فعلوا بهذا الأسود، وماذا فعلوا بذاك المسلم". ثم يبدأ سرد حوادث ذكرها الإعلام. وجوابي: كل خير معه شر، التعددية خير والشر الذي معها هو العنصرية، لأن أمريكا بلد ذات تعددية عالية وواسعة، فلابد أن ترى آثاراً للعنصرية إلى اليوم. لكن لاحظ ما يتم إغفاله هنا. يتم إغفال حقيقة العنصرية التي لا أقبح منها الموجودة في كل البلاد العربية بلا استثناء، بل كل بلاد العالَم. هذا يشبه أن يشتم هتلر أمريكا بأن لديها عنصرية. بل العنصرية راسخة في صلب "الفقه الإسلامي" الذي يمارسه "أتقياء" الجزيرة، مثل أحكام التكافؤ بين الرجل والمرأة والحوادث معروفة في هذا الشأن. بل قبل ذلك العنصرية الكبرى التي تميّز عائلة واحدة على بقية الشعب، ثم عنصرية أخرى داخل هذه العائلة تميّز وترفع مَن كانوا من أمّ معينة على غيرها، وهلمّ جراً. ثم إن كنت ستنظر إلى ما فعلته الشرطة بالأسود الفلاني أو الأصفر العلاني، فانظر من باب أولى إلى ما تفعله حكومتك الطاغية مع الناس أجمعين. ثم إذا نظرنا في كثير من حوادث العنصرية في أمريكا، سنجد أن الكثير جداً منها إما يتم اختزال جميع حقائق القضية وإما أنه لو حدث مثلها في حكومتك الطاغية ستفعل أضعاف ما فعله العنصري الأمريكي. أكبر مظاهر العنصرية في أمريكا باعتراف الأمريكان أنفسهم هي قضية استعباد الأفارقة وما نتج عن ذلك. لكن أن يأتي عربي أو مسلم تقليدي ويعترض على ذلك فأمر عجيب جداً، إذ الاستعباد عادة معروفة في العرب وحكم شرعي مشهور لم يزل مطبّقاً حتى زمن جدّي وجدك، فالأمر قريب جداً، ولولا الضغط الأمريكي لما حررت حكومتك العبيد ("حتى يستعبدوا الناس كلهم" كما قال لي حكيم مرّة). ثم الكلام ضد العنصرية، والتنظيم السياسي ضدّها، والسعي القانوني والواقعي لتغييرها، هو أمر مقبول وقانوني ويؤيده جماهير واسعة في أمريكا، فالإصلاح مفتوح وواقع وإن كان بطيئاً. بل حين تنظر في بعض مقولات العنصريين ستجد مثلها أو أشدّ منها أحياناً عند بعض السود أنفسهم، كما لو قرأت لمالكوم إكس واقتراحات طائفة أمّة الإسلام بوجوب انفصال السود عن البيض وعودة السود إلى إفريقية وما أسسوا عليه هذا الحل من أفكار مثل

رفض دمج السود مع البيض بالقهر وأن هذا يُسبب النفاق، فإنك إذا نظرت عند الكثير جداً ولعلهم أكثر "العنصريين" البيض ستجدهم يطلبون بكل بساطة أن لا تقهرهم الدولة على إدخال السود في أحيائهم ومدارسهم ومصانعهم ونحو ذلك، وقد قرأت لمالكوم إكس نفس المعنى تماماً حيث يقول بأن مثل هذا القهر سيسبب نفاقاً ولن يحلّ الموضوع، وقد صدق فإلى الآن لا يزال الأمر قائماً وإن بدرجة أضعف بكثير مما كان عليه من قبل، فالتحسين وإن كان بطيئاً لكنه حاصل. في بعض حالات الاعتداء على أسود من قبل الشرطة، ستجد أنه رفض قبول أوامر الشرطي أو هرب من الشرطي أو وضع يده في جيبه (في دولة عدد الأسلحة فيها أكثر من عدد الشعب). نعم ستجد حالات شنيعة لا مبرر لها إلا البغض الخالص للمجني عليه من قبل الشرطي المعتدي عليه، لكن لن تجد الدولة تحبس كل من يتكلّم ضد هذه الحادثة أو ضد ذلك الشرطي أو يدعو إلى تغيير نظام الشرطة ونحو ذلك، مع أنك إذا قست هذه الحادثة بما تفعله الشرطة في السعودية أو في بلاد الطغيان العربية ستجد أن الشرطة الأمريكية لطيفة جداً حتى وهي في أسوأ حالتها الشاذة النادرة، النمط العام اليومي للشرطة العربية أسوأ بمراحل فلكية من شواذ الشرطة الأمريكية. وقس على ذلك. هذا مجرّد مثال يتم طرحه عادةً أثناء الجدال، وقد ذكرت إشارات يمكن تفصيلها أكثر حين يتم ذكر حادثة بعينها حصلت في أمريكا. هذا طبعاً لا يعني أنه توجد دولة ذات كمال إلهي في الأرض، الكمال الإلهي يوم الدين حين "لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله". لكن عدم وجود الكمال الإلهي في النظام الأمريكي لا يعني قبول وتبرير الطغيان السعودي. المجادلة بالكامل لرفض الأحسن مع العيش في السيء أو الأسوأ هي مجادلة مَن يستحق الجحيم ولا يستحق الشفقة عليه.

٢- الحكم للأغلب وللنمط العام للأشياء، والشاذ لا يُبنى عليه العمل المعقول عادةً.

هذه قاعدة عقلية معروفة، كلنا نمارسها بل ونعتبر الإنسان مريضاً موسوساً إن وجدناه يعمل بخلافها. أذكر أني كنت أتحدّث مع صديق لي طيّار، حدّثني عن عدد حوادث الطيران في شركة ما يعمل لديها، (حادثتان في سبعين سنة، واحدة كان الخطأ فيها من برج المراقبة أدّى إلى اصطدام طائرتين، والأخرى حريق في الطائرة بسبب اشتعال عجلة الطائرة ولا أذكر خطأ مَن أدى إلى ذلك)، لكن من تخيّل شدّة قبح الحادثتين، خصوصاً اصطدام طائرتين وجهاً لوجه في السماء، نفرت نفسي من الطيران وقلت له "لن أركب طائرة بعد الآن"، وكنت أمزح وأبالغ طبعاً وهو تعبير عن النفرة في الوقت فقط. لكن تخيّل لو أن شخصاً فعلاً سمع عن حوادث الطيران وقرر أن لا يركب طائرة، وبدلاً من ذلك سيسافر بالسيارة حتى إن احتاج إلى أيام بدلاً من ساعات لقطع مسافة معينة. فهل يكون عمله معقولاً؟ الجواب البديهي، كلا. بل قد

اختار ما هو أخطر وليس فقط أكثر كلفة. لأن الطيران، حسب الإحصاء، هو أسلم وسيلة للسفر. والسيارة هي واحدة من أخطر وسائل السفر، بل لعلها الأخطر. لا نريد الدخول في سبب شعور الذهن بالنفرة من الطائرة أكثر من السيارة بالرغم من الفرق الواقعي الإحصائي بينهما، لكن مجرّد وجود الفرق ومعرفته بداهةً يجعلنا نحكم بخلل في عقل واختيار مَن يفضّل السيارة على الطيارة إن كان يبحث عن السلامة. هذا مثال على الحكم بالغالب.

نفس الأمر ينطبق على الدول. حين توجد دولة نمطها العام وأساس نظامها سليم، ودولة نمطها العام وأساس نظامها فاسد وطاغي، فالعقل يقضي بتفضيل الدولة الأولى على الثانية. دولة فيها الأصول الخمسة (الحرية، المساواة، التعددية، المدنية، النظامية)، فيها على مستوى الواقع وعلى مستوى القانون وعلى مستوى الثقافة العامّة، أي ليس حبراً على ورق ولا خطب سياسة جوفاء، هي دولة سليمة. وليكن ما يكون بعد ذلك من اضطرابات وتموجات وحوادث، فإن ذلك من شأن البشر والإصلاح المستمر كفيل برفع مستوى البلد مع الزمن وبذل الجهد. لكن دولة في المقابل فيها فقط واحد من الأصول الخمسة، (النظامية: يعني يوجد نظام سياسي يحيط بشؤون البلد، خلافاً لبلد فيها دول داخل الدولة كدولة فيها عصابات قوية متصارعة أو قبائل متناحرة، فحتى لو وجدت دولة مركزية إلا أن تلك العصابات والقبائل المسلحة المتصارعة والعشائر الثائرة أو القابلة للثورة في أي لحظة بسبب أمزجتها ومصالحها الشخصية الضيقة تعني عدم وجود أصل النظام العام)، فمثل هذه الدولة أساسها فاسد ونمطها العام سيء، حتى لو كانت أثرى بلاد الأرض وكان الناس فيها من أعلى الناس في مستوى معيشتهم.

إذا نظرنا إلى أمريكا (نعم، أعلم بأن مجرّد وضع أمريكا والسعودية في خانة المقارنة هو قلّة أدب، كأقل ما يقال، لكن ليعذرنا مَن لم يخضع للطغيان السعودي الذي يشوّه العقول ويجعل المنطق البسيط ممتنعاً وخصوصاً مع تأثير الدجل الوهابي الذي هو سرطان الروح، فلابد من عمليات كيماوية صعبة وحادّة لبعض الناس وهؤلاء هم قومي ولابد لي من الصبر عليهم والمشي معهم أحياناً حتى إلى الزوايا المظلمة التي يختبئون فيها خوفاً من البعبع " الغربي الكافر" على قول ملاحدة السعودية الوهابية)، أقول، إذا نظرنا إلى أمريكا سنجد أنها ذات نظام عام مستقر وغالبه حسن، لكن إذا نظرنا إلى السعودية سنجد أن صلب النظام فاسد وأساسه مرفوض لكل نفس إنسانية سليمة أو شبه سليمة. حين تقارن بين أمرين، لا تقارن أعراض الأول بجوهر الثاني، أو أعراض الثاني بجوهر الأول، بل قارن الجوهر بالجوهر والعرض بالعرض. هذا هو الأعقل.

٣- مع العجز لا اختيار، فإن كان لديك اختيار فأنت غير عاجز.

أقول هذا لأني وجدت لا أقول الكثير، بل أقول وجدت كل من دعوتهم وناقشتهم في أمر الهجرة يحتجّون بالعجز. والواقع أن لا أحد منهم عاجز في الحقيقة في هذا الزمان، لا أقلّ الطبقة التي تحدّثت معها. الطبقة العليا لا عجز لديها، الطبقة الوسطى لا عجز لديها، الطبقة السفلى كثير منهم لا عجز لديه. لكن دعوتي مبدئياً هي للطبقة العليا والوسطى، فإن هاتين الطبقتين لو فعلتا الواجب الشرعي والعقلي لتغيّرت أحوال الأمّة جذرياً وبمعونتهما يمكن تغيير حال الطبقة السفلى. وكلامي مع الطبقة العليا والوسطى، فأنا منتمٍ بالنشأة إلى هاتين الطبقتين (لا أقول ذلك فخراً، بل أشرح الواقع المعروف)

سبب عدم حدوث ثورة جذرية في بلادنا العربية هو أن الطبقة العليا خاضعة للدولة لأن مصالحها فيها، والطبقة الوسطى بعضها يتشبّه بالطبقة العليا ليشعر بأنه منها وبعضها يتمنّى أن يصعد إلى الطبقة العليا وبعضها اعتاد على دوره في المجتمع ويفرح بأنه أعلى من السفلى ولا يريد تغيير ما هو عليه خصوصاً بأمر كالهجرة قد يكلّفه الانتقال إلى الطبقة السفلى في مجتمع آخر ("أموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله")، هذه ونحوها من الأسباب تجعل الطبقة العليا والوسطى في بلادنا خاضعة لمنطق الطائفة المهيمنة في الدولة وترى مصلحتها الشخصية في استمرار الدولة على ما هي عليه ولا يبالون لا بحرية ولا بظلم ولا بظلام وكل هذا عندهم إما داخل تحت مقولة "نعم هو سيء لكن هو ضروري" أو "هو سيء والله يغفر لنا" أو "هي أوهام لا واقع لها" أو "هذه طبيعة الدنيا" أو "هذا أمر الله" (وهي أقبح فرقة، التي ترتكب الظلم وتنسبه إلى الله جلّ وعلا). طبعاً العصابة الحاكمة تعلم ذلك جيداً، وتفرح بوجود الطبقتين العليا والوسطى بينها وبين الجمهور العريض الذين هم الطبقة السفلى، فتزيد من وطأة بطشها وقهرها حتى بالطبقتين العليا والوسطى إن احتاجت إلى ذلك وهي تعلم بأن هؤلاء الجبناء الراكعين لها لن يفعلوا شيئاً، وطبعاً الطبقة السفلى لا حول ولا قوة.

ما لابد من التنبيه عليه هو انتفاء العجز عن تغيير الحال في الطبقتين العليا والوسطى. وأحسن وأقرب دليل على ذلك لهم هو أنهم يملكون الاختيار. كونهم يملكون الاختيار ما بين الإقامة والهجرة، إلا أنهم يفضّلون الإقامة، هذا بحد ذاته دليل على انتفاء العجز. فإن الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً لا يملك أصلاً الاختيار، أقصد الاختيار الواقعي وليس النظري. إن وجدت نفسك تقيس المصالح بالمفاسد، وما ستكسبه مما ستخسره، فأنت تملك الاختيار، بغض النظر عن مدى جودة قياسك وحسن حساباتك. هذه الخطوة الأولى للتوعية.

الخطوة الثانية هي النظر في عملية الحسابات هذه لكشف مدى جودتها ودقتها. فقد يقول لك "حسناً، أنا قادر على الهجرة، لكن ما الفائدة منها؟"، إذا وصلت إلى هذه المرحلة فالأمر أهون (لتفصيل أسباب دعوتي إلى الهجرة مقالة أخرى غير هذه إن شاء الله، وإن كنت قد ذكرت أطرافاً من ذلك في كتبي ومجالسي) لأني لاحظت فيهم الهروب من النظر في أسباب الهجرة إلى اختصار الطريق عبر ادعاء العجز عن الهجرة من الأساس. يكفيك أن ترى أناس لا يعرفون لغة البلد الذي سيهاجرون إليه (أكثر أهل الطبقة العليا والوسطى يتقنون اللغة الانجليزية هذا إن لم يكونوا قد درسوا وعاشوا فترة في بلد انجليزية)، ولا يملكون تقريباً إلا المال الذي دفعوه لمن سيهربهم إلى المهجر (وغني عن البيان بأن أهل الطبقة العليا والوسطى يملكون من المال ما يكفيهم لقرون أو لسنوات في أي بلد يختارون الهجرة إليه هذا إن لم يكن بعضهم يملك استثمارات في بلد المهجر تجعله من أثرياء البلد هناك)، ولا يملكون مؤهلات للعمل وكسب العيش كما يملكها أهل الطبقة الوسطى والعليا عادةً، ومع ذلك يهاجر الملايين كل سنة. فلا حجّة من هذه الناحية ولا عجز.

إذن، ابحث عن الأحسن (وليس الكامل)، الذي أساسه سليم (وليس عوارضه كلها سليمة)، واختر بوعي (ولا تدعي العجز وأنت قادر). هذه ثلاث قواعد أساسية لتفكير سليم وحياة ذات معنى مبنية على العقل (لا على الخوف الأعمى).

...

قالت: انا طول عمري اتمنى اني اربي كلب في بيتي. وانا سمعت اول وحده من تسجيلاتك انو الكلب ينجس. هل يجوز اني اربي كلب في بيتي، ووقت الصلاة و الذكر اتوضى و يكون الكلب في غرفة تانيه؟

قلت: يوجد رأي فقهي أن الكلب لا ينجس. لكن أنا شخصياً مع الرأي الآخر، وهو أن الكلب داخل البيت سيفسد شيء في روح البيت ونظافته. فلو كان عندك بيت فيه حوش، وتخلي الكلب في الحوش ممكن. أما داخل البيت، فلا أذكر أني دخلت بيت فيه كلب واستطعت حتى أن أذكر الله بحضور فيه، حتى إن كان كلب صغير و ظريف. فإذا أضفتي إلى هذا البيئة الحارة كبيئة جدة ومع الرطوبة، فالأمر أسوأ وأسوأ. موقفي هو : قطة داخل البيت، كلب خارج البيت. "كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد" الوصيد عتبة الباب وفناء الدار، يعني الجهة الخارجية للبيت وليس داخله.

...

قالت: يسعدك مساءك بكل خير وعافيه ابي اسالك حاجة سبق حصلت معاي لما بديت تشافي بديت تامل والجلوس كثير في الطبيعه حاجة تجي فجاءة اقبض ع قلبي ثم اشعر بروحي نفسها الاولى لما هلصت تمرين دراجة في الوادي ثم جلست اكتب واعمل تامل. صوت الطيور والريح والشجر كلها دخلت بالروح عندي ما عرفت ايش لكن بكيت وتكرر معي كثير. الان انا في بركسل اساعد زرجة اخوي بتولد انا مو مرتاحة ابدا وقلبي يقولي ارجعي. والكل يضغط قلولي. اجلسي تحملي وراح تلاقي نمو هناك اليء اللي جاني انا كل ليلة اقرا قران وادعي لله واكتب مريت بطريق مع زرجة اخوي شيء سحبني للخلف التفت وكان صوت مع الهواء قوي يقول ارجعي عورني قلبي وبكيت حسيته بروحي. هذا الشيء هو من لله لي او ايش معناه واعتذر للاطاله.

قلت: مساء النور (فلانة) ما فهمت ليش تبي ترجعي ؟ وين المشكلة انك تساعدي زوجة اخوكي تولد وتقضي وقت في اجواء الطبيعة الحلوة وبعدها ترجعي ؟

قالت: ما عندي مشكلة وانا حضرت لاني ابي الدعم والمساعده، لكن فيه عدم تقبل لوجودي هي تحتاج زوجها خاصه اخوي كان في الرياض ولسا جاء امس،. كمان انا عبأ عليها تكاليف كهرب ومويه وهما خاطين شروط وتقبلت ، ولغة التواصل بيني وبينها مفقودة لغتها انجلش ولكن بينا ترجمة وتعرف عربي قليل، وانا احاول دايما اترجم واكتب لكن بالنهايه لما جاء اخوي قالت ما تبيني ! ف شعوري كان حقيقي. الشعور اللي جاني وقالي ارجعي بعد ما استخرت قبلها وشفت الساعه وقتها ١١:١١ ، تفائلت خير ومريت من شجر ورد احمر واقع بالارض امشي معها اول ما حطيت جنبها قلبي قبضني بقوة وشعرت روحي بتطلع وكان شيء سحبني ووقفني بنفس المكان وهي سبقتني شيء في اذني زي الهواء قويه. هلاني اثبت واسمع ارجعي باذني. يمكن تقول عني مجنونه لكن صدق اللي حسيت. هل الشعور هذا صدق واذا صدق ايش معناه.

قلت: ما يحتاج كل هذا التعقيد. إذا أنت مو مرتاحة، ولا هي مرتاحة، خلاص ارجعي.

قالت: اي انا ع طول لما اخوي رجع عدلت حجزي للعودة كنت اسال عن الشعور اللي يلامس الروح ايش معناه.

قلت: الشعور لا يكذب. ما شعرتي به هو ما شعرتي به. لا يحتاج تفسير من جهة الشعور. فأنت بكل بساطة شعرتي بما في الجو مع هذه المرأة والذي في نفسها، وكان شعورك في محله يعني ليس وسوسة وهمية.

قالت: الحمد لله ممتنه لك لله يسعدك.

قلت: الله يسعدك وييسّر أمرك. لا تترددي بمشاعرك، خذيها كما هي. وحاولي أن تجعلي المعقّد بسيطاً، وليس تعقيد المبسّط.

(ملحوظة: أحد أسباب نقلي لهذا الحوار، وإن كان يوجد مثله عادةً عندي لكني لا أنقله لاعتباري إياه مغرقاً في الشخصنة بحيث لا أراه ينفع كثيراً إن نقلته، إلا أني اخترت هذا كمثال وعيّنة على ما لم أنقله، وأيضاً حتى أنبّه على معنى كنت أشرت إليه من قبل وهو أن " رجال الدين" أحياناً يشتغلون كمعالجين نفسيين أو حتى مجرّد أصحاب لسماع شكاوى الناس، وقد كنت ذكرت هذا الأصل من قبل حين تحدّثت عن أخذ رجال الدين للأجور من الناس وأن لهذا وجهاً من حيث أن شغلتهم تتضمّن مهن كثيرة اليوم يتعاطى كل صاحب مهنة منفردة منها أموالاً طائلة فمن باب أولى أن يستحق الأجرة رجل الدين. طبعاً أنا شخصياً لا أعتبر نفسي "رجل دين" بالمعنى المؤسسي، ولا أرى أخذ الأجرة طالما أن الشخص يظهر بمظهر رجل الدين مهما كانت الأعمال التي يقوم بها، لكن من الإنصاف أن تذكر الحجج والحوادث التي تعزز قول خصمك أو القول المغاير لقولك.)

...
تبدأ سورة عبس بتقرير مبدأ للرسل والذي يمكن رسمه بهذه الصورة: اهتمّ بمن جاءك فقط. ثم لتقرير المبدأ جاءت مقاطع السورة.

ففي المقطع الأوّل (١-١٠) يقول ما مضمونه : أيها الرسول، إن كنت تهتمّ بنفسك فلن نسألك عن مَن استغنى عنك ولم يجئ إليك، ومسؤوليتك تقتصر على تعليم مَن جاءك. وإن كنت تهتمّ بالناس، فإن مَن جاءك وهو الأعمى هنا هو من الناس ومَن استغنى أيضاً من الناس فكلاهما من الناس إلا أن مَن جاءك له صفة ترجّح الاهتمام به على مَن استغنى عنك وهي صفة المجئ والسعي واحتمالية انتفاعه بكلامك. بالتالي، الاهتمام بالنفس وبالغير يدعوانك إلى الإقبال فقط على من جاءك. وأما من استغنى، فدعوتك العامّة للناس وظهور أمرك بينهم وكونك شخصية عامّة كافية لفتح الباب لمن يريدك ليأتي إليك.

في المقطع الثاني (١١-١٦) قرر المبدأ من جهة أخرى وهي ذكر مقام الرسالة والرسل، فالقرءان تذكرة بمعنى أن الأصل كان يقتضي ترك كل إنسان بلا تذكرة حتى يسعى هو بنفسه ويكتشف حقيقة وجوده وواجبه تجاه ربّه وكيفية النجاة في آخرته، لكن حصل استثناء بسبب رحمة الله فجاءت الرسالة الخاصة المُتنزّلة إلى مستوى الناس في جهلهم وغفلتهم، فهذا القدر كافي كاستثناء من الأصل الذي هو ترك الناس على حالهم ليستخرج كل واحد دين الله من باطن فطرته ويجاهد بذاته ليعرف ربه ومهمّته كعبد وخليفة. فبعد التنزّل لن نتنزّل مرّة أخرى ونلحق وراء المستغني، فالأولى لمحدودية الوقت والجهد أن نضع وقتها وجهدنا في نفع مَن جاءنا يسعى، بمعنى أن الرسالة نزلت من السماء إلى الأرض فهذه الرحمة الاستثنائية كافية، وبعد أن صارت الرسالة على الأرض فعلى الناس أن يسعوا إليها وإلا فلا يلومون إلا أنفسهم مرّتين وليس مرّة واحدة فقط إذ اللوم الأول هو كونهم لم يصعدوا إلى السماء لأخذ الرسالة والمرّة الأخرى لكونهم لم يسعوا في الأرض لأخذ الرسالة والتعلّم من الرسل. ظهور الرسول بل مجرّد كونه في الأرض هو رحمة فوق رحمة للناس، فأن يظهر الرسول ويدعو بدعوة عامّة ثم مع ذلك يُطالَب باسم الرحمة أن يلحق كالأم وراء الأطفال الأشقياء الهاربين ليعلّمهم الدين، فهذا أمر غير مبرر وغير مشروع، فعلى الناس أن تسعى في الأرض وتدور لتعرف الدين من الأرض إن عجزت أو لم ترد بذل الجهد لمعرفة الدين من السماء. ولا شيء بعد ذلك لهم. أما الرسل فليضعوا وقتهم وجهدهم في تعليم مَن جاءهم وحسبهم ذلك. كرامة الرسل ورفعة كلامهم تقتضي ذلك، فلن تنزل أكثر من ذلك وإلا تحوّلت من تنزّل رحمة إلى تنزّل ذِلّة والرسول عزيز غير مذلول.

في المقطع الثالث (١٧-٢٣) قرر المبدأ من جهة ثالثة وهي ذكر نشأة الجسم. فكما أن الجسم يسّر الله له سبيل نموّه إلى بلوغه منتهاه، فكذلك النفس من باب أولى أن الله سييسّر لها بلوغ قدرها، بالتالي إن سبقت لنفس من الله الحسنى سوف يجعلها تتيسّر للقاء الرسل في الأرض والتعلّم منم، وإن كانت شقية فلن تنتفع ولو لحق وراءها الرسل لإسعادها بالقرءان.

في المقطع الرابع (٢٤-٣٢) قرر المبدأ من جهة رابعة وهي ذكر الطعام. فكما أن الناس يهتمّون بطعام أجسامهم، فكذلك عليهم أن يهتمّوا بطعام نفوسهم الذي هو العلم والنور الإلهي المشرق بالرسول والرسالة. فالذي يجعل الناس يهتمّون بطعام أجسامهم والسعي والتسبب لتحصيله واختيار الأحسن منه بل والاقتتال أحياناً لتحصيل أسباب بقاء ولذة الجسم، هو هو الذي ينبغي أن يجعلهم يهتمّون بالسعي في الأرض لبلوغ الرسل الإلهيين والأخذ عنهم طعام الروح

وغذاء البُعد الأبدي من ذواتهم. فإن لم يفعلوا، فهو حجّة عليهم. فالله يجعل النبات في أرض ما، ويجعل أرض أخرى صحراوية ميتة، فترى الناس يسعون وينتقلون من الأرض الميتة إلى الأرض الحية ليتغذوا منها جسمانياً، كذلك الحال في أمر الروح والعقل الأعلى، أي عليهم أن يسعوا من الكلام الذي لا يرون فيه بُعداً إلهياً إلى الذي فيه البُعد الإلهي، وعليهم تخيّر الناس والبحث عمّن يتكلّم عن الله وبالله ممن يتكلّم عن هوى نفسه ومزاجه ورأيه الدنيوي، ويسعوا للأول وينتقلوا عن الثاني ويهجروه. الطعام لا يلحق الأجسام، الأجسام تلحق الطعام. الشجرة لا تجري وراء الناس لكي يستظلّوا بها أو يأكلوا من ثمرها، بل العكس هو الواقع. كذلك الحال في طعام الروح وشجرة الرسل، على الناس أن يسعوا إليها كما فعل الأعمى هنا حيث جاء إلى الرسول صاحب الذكر الإلهي يسعى وهو يخشى.

في المقطع الخامس (٣٣-٣٧) قرر المبدأ من جهة خامسة وهو ذكر الآخرة، فكما أنه في يوم الدين تبطل العلاقات الجسمانية ولا تبقى إلا العلاقات الروحية، وبناء على ذلك لا يهتمّ ولا يودّ المؤمنين حتى عائلتهم الجسمانية في حال تعارض ذلك مع إيمانهم وولائهم لله ورسوله والذين ءامنوا، فإذا كنت تستغني عن عائلتك الكافرة في سبيل دينك، فمن باب أولى أن تستغني عن الكافر الغريب المستغني عنك ولا تتصدّى له. إن كانت في إنسان إرادة معرفة الله، فسيأتي إليك أيها الرسول وسيوفقه الله للوصول إليك إذ هو الذي خلق وهدى. وإن لم تكن فيه هذه الإرادة، فلن ينتفع بك حين تلحق وراءه وتتصدّى له. في الآخرة لكل امرئ شأن يغنيه، والرسول في الدنيا هو مظهر الآخرة، لذلك عليه أن يكون أيضاً له شأن يغنيه مبني على الأمر الروحي حصراً، ويتجلى ذلك في الإقبال على مَن يريد التعلّم منه واللامبالاة بمن عداه إذ مَن عداه له شأن يغنيه أيضاً وهو وما اختار لنفسه.

في المقطع السادس والأخير (٣٨-٤٢) قرر المبدأ من جهة سادسة وهو ذكر العاقبة، فالذي يعبس للطالبين المؤمنين في الدنيا ولا يتوب لن يكون من أهل الضحك والاستبشار في الآخرة، والعكس صحيح، فاضحك في وجه الطالبين لك وبشّرهم واستبشر بهم واجعل كل إقبالك عليهم، وأما الوجوه الأخرى المعرضة المستغنية فإنها في حقيقتها "عليها غبرة" كالمرآة المغبرّة لن يتجلى فيها وجهك المنير أيها الرسول، فلا تنظر في وجوههم الآن لأن ذلك سيؤثر سلباً على قلبك، فليس فقط لا تجري وراءهم وتتصدّى لهم بل حتى لا تنظر في وجوههم وهم معرضون عنك. اضحك للمتعلّم الذي يخشى ولا تبالي بوجود عن مَن استغنى كما لا تبالي بوجود كل الكائنات الأخرى التي في الطبيعة ولا يشتغل عقلك بالالتفات لها أصلاً. الإنسان الموجود

بالنسبة لك ليكن فقط مَن جاءك يسعى وهو يخشى، واضحك فرحاً بوجوده واضحك له وبشّره واستبشر بفلاحه، فهذا ظهور حالي لمقامك الأبدي بإذن الله ورحمته.

...

لآيات القرءان اليوم أسباب نزول، ولكل واحد من أهل القرءان آيات على الأقلّ في حياته هو أسباب نزولها. الآية واحدة لكن يتعدد سبب نزولها بتعدد الحوادث المناسبة لها والتي يكلّمك الله بالآية عبرها.

حتى في المرويات، لم تُذكَر أسباب نزول من عهد النبي لكل آيات القرءان، وبعض الآيات تعدد سبب نزولها، فهذا يكشف عن المبدأ الذي ذكرناه وإمكانه الواقعي.

مثلاً، قبل قليل كان شخص من المحبّين مُقبلاً عليّ يريد منّي إعطاؤه المزيد من وقتي للكلام معه في أمر المعرفة والدين، وشعرت بشيء من التثاقل عن ذلك، فاستوحشت وانقبض قلبي وعرفت أني أخطأت، لكن أردت الاستخارة الخاصة فدعوت واستفتحت فخرجت لي آية {يأيها الذين ءامنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم} وكانت الآية بكل تفاصيلها تكلّمني لأني استخرت في هذا الجانب وغيره مما يتعلّق بذلك الشخص، فجاءت الآية تماماً على الموضوع الذي سألت الله فيه. فبالنسبة لي، لهذه الآية سبب نزول يخصّني، وأنزلها الله لي. وقس على ذلك سواء جاء الإنزال عليك نتيجة استفتاح من المصحف بعد استخارة خاصة، أو جاء إنزالاً على القلب مباشرة بتذكيرك بآية في وقت معين، أو ولو سماع آية من قارئ أو رؤيتها مكتوبة في مكان ما وكلّمك الله عبرها في أمر تكون فيه أو عليه ليهديك بها فيه.

للقرءان أسباب نزول بعدد النوازل الآفاقية والأنفسية، لكن أكثر الناس لا يعلمون.

...

قالت: السلام عليكم عندي سؤال ممكن القى جوابه عندك هل اهدافنا في الحياة يلزمها اخذ بالاسباب دائماً؟؟ وهل ممكن يقيننا بالله يكون سبب ظهور التجليات لأن في اشخاص يحصلوا على اللي يبغوه بدون مجهود بدني بس هذا هو اللي محيرني وشكراً لك مقدماً.

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته لابد من العمل والإيمان. أنت تأخذين بالأسباب كل يوم، حين تأكلين وحين تختارين لبسك وحتى حين سألتيني هذا السؤال. نعم فضل الله واسع وسابق، وتوفيقك للعمل الصالح هو بحد ذاته من اسباب ظهور التجليات النورانية لك. فاعملي الي تقدري عليه حسب أمر الله وتوكلي على الله من قبل ومن بد.

...

قرأت في تاريخ الكامل، في أحداث سنة ثلاث وعشرين ومائة، هذه العبارة:

{في هذه السنة صَالَحَ نصر بن سيّار الصُّغد. وسبب ذلك أن خاقان لما قُتل في ولاية أسد تفرّقت الترك في غارة بعضها على بعض، فطمع أهل الصغد في الرجعة إليها، وانحاز قوم منهم إلى الشاش. فلمّا وليَ نصر بن سيّار أرسل إليهم يدعوهم إلى الرجوع إلى بلادهم، وأعطاهم ما أرادوا، وكانوا ينالون شروطاً أنكرها أمراء خراسان. منها:

(١) أن لا يُعاقَب مَن كان مُسلماً فارتدّ عن الإسلام.

(٢) ولا يُعدى عليهم في دَينٍ لأحد من الناس.

(٣) ولا يؤخَذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضيّة قاضٍ وشهادة عدول.

فعابَ الناس ذلك على نصر بن سيّار وقالوا له فيه. فقال: "لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم ذلك."

وأرسل رسولاً إلى هشام بن عبدالملك في ذلك، فأجابه إليه.} انتهى.

أقول: تأمل جيداً مضمون القصّة حتى تعرف ما هو الطريق الوحيد الذي ينفع مع رؤساء " الدولة" الإسلامية، خصوصاً "الملوك" الطغاة منهم. وحتى تعرف أيضاً موقع الدين الحقيقي عندهم. وأهمّ شيء، حتى تعرف الطريق لتحقيق الحريات والحقوق المطلوبة في هذا الزمان وفي كل زمان. وقد سهّلت قراءتها بترقيمها وتفصيلها. أعِد قراءتها مرّة ثم اقرأ تعليقي عليها فإنها فقرة عزيزة.

الفكرة كالتالي: تم تعطيل حكم الردّة من قبل أمير إسلامي، بل ليس فقط حكم الردّة ولكن معه أيضاً حكم من باب الديون في المعاملات وكذلك حكم من باب الجهاد. فلا يكفي أن أهل الصغد هؤلاء قد أرادوا وطالبوا حتى يسالموا الدولة الأموية (الإسلامية كما هو مشهور، بل عند الكثير هي أفضل الدولة بعد الخلافة الراشدة بحجّة أن الأمّة كانت متوحدة تحتها خلافاً لما حصل بعد ذلك من تفرّق إلى ممالك وخلافات متعددة أثناء الدولة العباسية) لا يكفي أنهم طالبوا بتعطيل حكم الردّة عليهم، لكن زادوا على ذلك وطالبوا بأمور أخرى. وقد حصلوا عليها كلها. فالمؤرخ هنا يذكر فقط بعض ما أرادوه وطالبوه به، أي الشروط الثلاثة التي عددناها، لأنه كتب {وكانوا ينالون شروطاً..منها..} ثم ذكر الثلاثة التي أوّلها تعطيل حكم الردّة في حقّهم. فما هو السرّ يا ترى الذي جعل مطلب هؤلاء الناس يصل إلى حدّ تعطيل حكم الردّة في حقهم وتعطيل مطالبتهم الجبرية بالديون كبقية المديونين بل حتى إبقاء أسرى المسلمين بأيديهم كأصل، فضلاً عن ما لم يذكره المؤرخ والله أعلم به؟ ما هو السرّ؟

السرّ ببساطة هو: الجبروت. العنف. إدخال الخوف على الدولة. ونترك الجواب للأمير الأموي الإسلامي الذي {أعطاهم ما أرادوا}، فقد شرح سبب خنوعه لمطالب "الشعب" بوضوح لا مزيد عليه، وذلك حين قال لمن أنكر ذلك عليه (آه، ما أجمل الأيام التي كان المسلمون ينكرون فيها على الأمراء!)، قال الأمير لمن أنكر عليه من "الناس" ما يلي:

{"لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم ذلك."}

الترجمة؟ قد أرهبونا بشدّة بطشهم. وفعلاً، حتى حين رفع الأمير هذه القضيّة إلى "أمير المؤمنين" و "نائب الرسول في إقامة الشريعة" هشام بن عبد الملك، ماذا فعل هذا " الخليفة" الإسلامي؟ هل وافق على تعطيل حكم الردّة المفترض أنه شرع إلهي، وبقية الأحكام؟ الجواب: نعم. {وأرسل رسولاً إلى هشام بن عبد الملك فأجابه إليه}.

إذن، حين نأتي نحن وغيرنا ونقول بأنه يجب تقرير الحرية الدينية، التي منها بالضبط ما طالب به أهل الصغد هنا الدولة الأموية الإسلامية {لا يُعاقَب مَن كان مسلماً فارتدّ عن الإسلام}، فلدينا "سلف" نحاكم إليه المتمسلفة من جميع الفرق عموماً ممن يرى الدولة الأموية كخلافة إسلامية أو حتى دولة إسلامية معتبرة. فقد أجابوهم إلى ذلك. نعم، نحن نطالب بذلك بناء على أنه عين الحق ومقتضى العدل وحقيقة الشرع الإلهي. لكن هب أن خصمنا رفض، فما الحل لتقرير الحرية الدينية في "الدول الإسلامية" بشكل عام أيا كانت صورتها والتي تدعى أنها تحكم بالشريعة أو تدعي أنها لا تستطيع تقرير الحرية الدينية وتعطيل حكم الردّة لذلك بحجّة أن الأغلبية مسلمة وسترفض ذلك؟ جوابنا: إذن فتحتم على أنفسهم باب إعادة مَثل أهل الصغد من جديد. بعبارة أخرى، لن تبقوا مجالاً إلا لتركيع هذه الدول لمقتضى الحرية باللغة الوحيدة التي تفهمها والتي عرفها أهل الصغد من قبل، أي لغة السيف. كما يعرف ذلك جميع الأحرار في التاريخ، الحرية لا تُعطى ولكن يُدافع عنها من يقدّرها قدرها. أعداء الحرية يستعملون السيف، فأنصار الحرية أولى بالدفا ع عن حريتهم بالسيف أيضاً، "وجزاء سيئة سيئة مثلها" و "لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّمَت صوامع".

...

سبب تعظيم مسجد قباء أنه أوّل مسجد عاش فيه النبي والمؤمنين معنى "لا إكراه في الدين". فهو رمز الحرية الدينية في الإسلام.

...

شتمني بالباطل شخص في مجلس القرءان، فرددت عليه بحدّة وبسبّ مثله لكنه بالحق. ولعل البعض استغرب منّي ذلك وهو يظنّ أني فقدت صبري، وليس كذلك. بل رحمة بذلك الشخص السفيه. لأنه دخل على مجلس القرءان وشتم بالباطل، فلو تركته وأعرضت عنه لوقع تحت قهر

الحق تعالى وعقوبته وانتقامه، فمن رحمتي به أني رددت عليه بجِدّة. من رحمتي بمن يحضر مجلسي أني لا أدعه لعقوبة الحق إن كان يستحق العقوبة.

...

لئن تصبر ثم تنتصر خيرٌ من أن تستعجل فتنكسر.

...

يقول كافر النعمة: لا أُكلِّم طبيباً نفسياً لأني أستطيع التكلم مجاناً مع ربي.
أقول: العبرة ليست بأن تتكلم مع ربك لكن بأن تتكلم معه ويتكلم هو معك بحكمته ورحمته. فمن علاج النفس أن يجاوبك الطبيب ويفتح لك ما جهلته وينبهك على ما غفلت أو تغافلت عنه ويقترح عليك ما تفعله، وليس فقط أن تتحدث أنت من طرف واحد. أطباء النفس (لا أقل المحسن منهم) يقومون بجهاد عظيم وتضحية كبيرة، لأنهم جعلوا من أنفسهم مثل مزبلة المستقبل في سبيل علاجك، أقصد أنهم مزبلة تلقي فيها كل وسخك وعقدك وسلبيتك ثم يقومون بتدويرها في عقولهم ويُخرجون لك منها مواداً جديدة نظيفة نافعة لك. خلافاً لأطباء الجسم الذين قد يتعاملون معك عموماً كأنك قطعة ميكانيكا منفصلة ذاتية عنهم ويفعلون فيك بدون أن ينفعلوا بك، فإن أطباء النفس يتماهون معك ويأخذون من روحك داخل روحهم ويخلطونك بنفسهم حتى يفهموك حق الفهم ثم بكيمياء روحهم القدسية أو عقولهم المثقفة يُحوّلون نحاسك إلى ذهب ومرضك إلى حكمة ويعطونك إياها. فدع عنك حديث "أتكلم مع ربي مجاناً".

تقول: لكني أشفي نفسي بنفسي.
أقول: لابد إذن أن يحدث فيك انفصام وانقسام. لأنه لابد من أن تقسم عقلك إلى ذات وموضوع، فالذات ستنظر في الموضوع وتحلله وتقترح عليه. وهذا بحد ذاته نوع من المرض، لأن النفس سلامتها في بساطتها وبساطتها في وحدتها ووحدتها تفنى بالانقسام إلى ذات وموضوع.

تقول: حسناً لن أقسم نفسي داخلي، لكن بانقسام خارجي. سأكتب بكل وحدتي، ثم سأقرأ ما كتبته أيضاً بكل وحدتي وأقترح على الكاتب الأفكار والأعمال، وبذلك أكون أنا المريض حين أكتب لأنفتح وأنا الطبيب حين أقرأ وأقترح.
أقول: نعم هذا أقرب شيء إلى الحل. لكن مشكلته من جهة ما مدى موضوعيتك ومراقبتك لنفسك وأعماقها حين تكتب عن نفسك، فالطبيب سيساعدك بالأسئلة والملاحظات حتى يستخرج منك ما هو كامن ومظلم. ومن جهة أخرى ما مدى حكمتك في الاقتراح. فإن كنت

شديد وشجاع في موضوعيتك، ونبيه وحكيم في اقتراحاتك، فاستعن بالله وقم بذلك فهو أقرب شيء لتكون طبيباً لنفسك بنفسك.

...

من المجانين: العطشان الذي يصل إلى نبع الماء ثم يتركه ويجلس يبكي على فقدان الماء. وقد كان بين يديه، لكنه لم يشكر نعمة وجوده وأصرّ على جحوده.

أن تقف مع إنسان في جميع مواقفه بغض النظر عن مواقفه هو من العصبية والحميّة الجاهلية. أن ترى الحق والرحمة فوق الناس، وتُحاكم نفسك والمقربين إليك قبل غيرهم إلى معيار الحق ومعيار الرحمة هو لباب الروح الإسلامية.

لا تَعِش داخل ذهنك. بعض الناس يُسيء التعامل مع الأشخاص، ثم حين يفقدهم يسترجع ذكرياته معهم ويتمنى عودتهم، هذا ليس ندماً حقيقياً، لأنه في الواقع لا يحب أولئك الأشخاص لكنه يحب صوره الذهنية عنهم، فهو يحب نفسه فقط، ولا يعرف كيف يحب غيره. ذكرياتك عن الآخرين ظِلال أنانيتك، فلا تحسب أنك فعلاً تحب الآخرين إلا إذا كنت تحبهم في وجودهم الخارجي الواقعي المنفصل عنك.

...

قال: كيف تشهد أن محمداً رسول الله ومحمد قد مات فلا يمكن أن تشهد وجوده فضلاً عن أن تشهد صفاته وأنه رسول الله تحديداً؟

قلت: بأربع طرق، واحد منها كافي، ومَن جمعها كان أعظم الشاهدين.

الطريق الأول: شهود القرءان. ورق المصحف نائب جسم محمد، وحبر المصحف نائب هواء نطق محمد، فحين تقرأ أو تسمع القرءان فكأنك شهدت محمداً لأنه لن يفعل كأصل أكثر من قراءة القرءان عليك وهذا حاصل الآن. قال الله "أنزلنا إليكم ذكراً رسولاً".

الطريق الثاني: شهود الولي. كل ولي من المحمديين هو محمد ومظهر لمحمد بغض النظر عن درجة ظهور محمد فيه. النور المحمدي مشرق بالأولياء المعاصرين لك، فلو شهدت أحدهم وشهدت النور الإلهي فيه ونلته به فقد شهدت لمحمد بالرسالة، لأن الولي سراب وما عنده إلا الله ورسوله. قال الله "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتبعني".

الطريق الثالث: شهود النبي. نبينا محمد حقيقة قائمة الآن في عالَم الغيب والملكوت والسماء. فمَن حصلت له رؤيا النبي أو عرج الله به إلى العوالم العليا و جمعه بالنبي فقد شهد محمداً مباشرة فيشهد له لفظاً بالرسالة بناء على رؤياه أو رؤيته هذه. قال الله "فلا تكن في مرية من لقائه".

الطريق الرابع: شهود الوحي. بمعنى أن يوحي الله إليك ويلهمك ويشرح صدرك بنحو تعرفه أنت ذوقياً ووجدانياً بأن محمداً رسوله، أو أن القرءان كلامه فتعرف صدق محمد بالتبع لمعرفة صدق القرءان إما بوحي الله وإما برؤية آيات القرءان في الآفاق والأنفس حتى يتبين لك أنه الحق. قال الله "أوحيت إلى الحواريين أن ءامنوا بي وبرسولي".

...

{رب أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك ربّ أن يحضرون}

معنى ذلك أن صاحب (قل) ستحوم حول قلبه وقالبه شياطين كثيرة، لذلك يستعيذ منها.

مَن صاحب (قل)؟ هو صاحب القرءان، وأهل الذكر والعقل الرباني.

لماذا يحومون حولهم؟ لأن الشياطين غرضها إفساد وسائل تنوير الناس ونفخ الروح في قلب العالَم.

معنى ذلك: يا أهل القرءان، إياكم والمشي وراء كل خاطر أو ميل تجدونه في نفوسكم بدون هدى من الله ومراجعة أولياء الله في زمانكم، ومحاكمة هواكم إلى أحكامهم. لأن نفوسكم ستكون مرمى لسهام الوساوس الشيطانية ليل نهار، وستسوّل لكم ترك الطريق الإلهي والخروج على أمر الرسول الجامع، حتى باستعمال الأسباب التي تعتقدون أنها دينية ولكنها ليست دينية بل هي أهواء نفسانية.

ومن هنا قال النبي "المؤمن مرآة المؤمن"، حتى يعكس بعضنا حقائق بعض ويعتصم بعضنا بأحكام البعض. بدون مرآة المؤمن ستبقى وحدك لا تعرف كيف تنظر لنفسك غالباً، وبالتالي لن ترى أوساخ وجهك التي ستنسيك إياها الشياطين وتوهمك بأنك يوسف الوجود حتى إن كنت الأعور الدجال.

...

(يأيها الذين ءامنوا، شهادة أحدكم إذا حضر أحدكم الموت اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم)

لاحظ الفرق ما بين (منكم) و (من غيركم):
(منكم) يعني من الذين اءمنوا.
(من غيركم) يعني من غير الذين ءامنوا.
يعني؟ المؤمن ليس "غيراً" للمؤمن.
يعني؟ المؤمن والمؤمن واحد في الحقيقة.
لذلك عبّر عن الغير ب(آخران) ولم يقل "اثنان من غيركم"، لأن المؤمن لا يرى المؤمنين ك"آخرين"، بل هم من أنفسهم، "لا تخرجون أنفسكم من دياركم".

لذلك قال موسى وهارون "إنّا رسول"، "رسول" بالمفرد. فهنا كلام على مستوى الحقيقة الروحية النفسية، فموسى وهارون حقيقة واحدة. لكن لاحظ في آية أخرى قال موسى وهارون "إنا رسولا ربك"، فجاء "رسولا" بالمثنى. ما الفرق؟
لما تحدثا عن الحقيقة العليا تكلما بلسان الوحدة، "إنا رسول رب العالمين". لكن لما تكلما مع فرعون ومن مستواه الأدنى تكلما بلسان التفرقة والتثنية، "إنا رسولا ربك".
المعنى: الذي ينظر إلى الجسم سيقول "رسولا" بالتثنية، فيعتبر موسى غير هارون. الذي ينظر إلى الروح سيقول "رسول" بالوحدة، فيعتبر موسى نفس هارون.

فحين نتحدث عن الفردية والخلوة ونحو ذلك (والخلوة أول أعمال طريقتنا) فليس المقصود الانفراد واعتزال المؤمنين، لكن الانفراد واعتزال الأغيار والكافرين والجاهلين والدنيويين ونحو ذلك من الأصناف التي نخالطها ظاهراً وللدعوة والتعليم. المؤمن نور المؤمن، ومحط تجليات الحق، ومنزل إشراقات الجميل الأعلى. فاعتزال المؤمن مصيبة يُستعاذ منها، وليس فضيلة يُرجى وجودها.

من هنا أمر النبي ذاته فقال "اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا"، فالصبر معهم والنظر إليهم فوز وعبادة واستنارة، وتركهم والضجر منهم والإعراض عنهم خسران وظُلمة وخيبة.

ومن هنا أيضاً كانت "الخلوة" هي الاستثناء، وليست الأصل في ديننا. الأصل هو الاجتماع وصلاة الجماعة. واحتاجت الخلوة إلى إذن الله المباشر أو بوسيلة شيخ الطريقة لأنها خطر شديد، إذ بدون عصمة الله ستعني الخلوة خلع المريد للدرع الإلهي وتعرضه لسهام الشياطين السامة من كل الجهات. قال النبي "عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد. مَن أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة".

...

قالت صاحبة مقربة لي بعدما نقلت لي نصّاً عن أبي حامد الغزالي رحمه الله، من كتابه مشكاة الأنوار، يتحدّث فيه عن الجمع بين الظاهر والباطن. ثم قالت: يعطيك العافية سلطان لاحظت في مجالس سورة طه تحديدا تركيزك على تهميش التأويل الظاهري للنص بالذات في مشهد السحرة مثلا، قرأت الجزئية دي من كتاب مشكاة الانوار للغزالي واستوقفتني، حبيت اعرف رأيك الكريم فيها بعد اذنك.

قلت: الله يعافيك عايشة ويرفع قدرك في الدارين. كلام الغزالي عن الظاهر بمعنى أحكام الشرع، وليس الظاهر بمعنى قصص القرءان. كما في مثال الكلب الذي ذكره. بل نص على هذا المعنى في المقالة التي نقلتيها. أما عن تأويل قصة موسى، فالمبدأ عندي هو قراءة القصّة بطريقة يمكن رؤيتها في الآفاق والأنفس اليوم. فإذا قرأناها بطريقة مادية بحتة، فالنتيجة ستصبح القصّة "أساطير الأولين" لا معنى لها يهمّنا اليوم جوهرياً. لذلك ركّزت على التأويل الباطني لها. أو أحد التأويلات الباطنية لها. المبدأ الثاني في قراءتي لقصص القرءان هو أنها مثل الرؤيا، أنباء لها تعبير والظاهر رمز لذلك المعنى. وقد بيّنت براهين هذا المبدأ مرّات عديدة في كتبي ومجالسي. مع ذلك، فأنا لا أنكر أي مستوى حقيقي لقصص القرءان. لكن كل معنى يُستَنبَط يجب البرهنة عليه لإثبات صدقه. لاحظي مثلاً في قصّة موسى أكثر من مرّة يقول الله للنبي (كما في سورة القص) "ما كنت ثاوياً" أو "ما كنت بجانب الغربي"، ونحو ذلك من نفي لانطباق صورة قصة موسى على وضع محمد، فهذا تنبيه من الله لنا حتى لا ننساق وراء الظاهر الذي لا ينطبق علينا، لكن نأخذ منه العبرة والفكرة والباطن الذي ينطبق علينا. فنحن ليس لدينا عصا (فلنفرض أنها خشبية، مع أن القرءان لا يقيّد نوعية العصا، فتاملي)، نستطيع بها أن نتحارب مع سحرة بالصورة التي يتخيّلها الناس عادةً. فنحن اليوم لا نجد سحرة مثل سحرة فرعون ولا عصا مثل عصا موسى، حسب الظاهر المتخيّل عادةً لهذه الألفاظ. فإذا قرأناها بهذا البُعد، فالنتيجة ستكون الإعراض عن القرءان أو حتى تكذيبه أو رؤيته كشيء لا داعي له اليوم. هذا فضلاً عن أننا سنكون مخالفين لمبدأ كون قصص القرءان أمثال لابد لها

من تفسير وتأويل وتعبير. لكن على طريقة قراءتي أنا لها مثلاً التي استمعتي لها، يصبح السحرة مرئيين، وعصا موسى بيدنا اليوم. وهكذا.

قالت: اعتقد تكمن إشكالية التأويل في مدى القدرة على البرهنة عليه، نستطيع البرهنة على المعنى ولا سبيل للبرهنة على الحدث التاريخي.

اكيد طريقتك لا غبار عليها وأتفق تماما مع جميع ما سبق، لكن عدم جزمنا بحدوث أي قصة يجعل حتى قصص الرسول خيالية، وهذا بالفعل ماذهب إليه بعض المعاصرين بنفي الوجود المادي للرسول، وطبعا لا يخفى علينا مدى خطورة هذا المسلك (مصداقية الأحاديث، السنة والخ)

"نفي لانطباق صورة قصة موسى على وضع محمد" ملاحظة دقيقة جدا، بارك الله فيك وفي علمك.

قلت: بالنسبة للنفي المادي للرسول من بعض المعاصرين. فهذا أمر باطل يقيناً بكل وجه ممكن من إثبات أي حدث تاريخي بشكل عام، بل ثبوت وجود الرسول أعلى من أي شخصية أخرى تاريخية بشكل عام ما قبل عصر التصوير. لكن الذي جعل البعض يقوم بهذا هو مجرّد تقليد لما يقوم به بعض الملحدين في الغرب عن نفي وجود موسى اليهود أو يسوع الصليبيين بحجّة عدم وجود حجّة تاريخية معتبرة على وجودهم. ويحاولون تقليد هؤلاء. وإلا فمن الجنون الاعتقاد بأن ٢٥ مليون واحد من ذرية النبي اليوم، وثلاث دول على الأقلّ قائمة اليوم يحكمها أناس من ذرية النبي، وجود قبره الذي يعرفه الجميع ويحجّون إليه من قرون، وكل ما سوى ذلك، أن كل هذا كذب ووهم.

بالنسبة لاعتبار قصص الرسول خيالية أيضاً، فأوّلاً، القصص التي في القرءان أيضاً لها باطن. لكن الفرق الشاسع ما بين فلنفرض قصّة "فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها" وما بين "فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف" هو أننا نرى في الآفاق والأنفس اليوم مظهر لإنسان ينكح ويطلق ونحو ذلك، لكن لا نرى مظهراً لعصا تنقلب ثعباناً وأناس يتبعون الطغاة يسحرون الناس بالحبال المادية والعصي الخشبية. ثانياً، قصص سيدنا النبي التاريخية المكتوبة في السيرة كلها بشكل عام لها مظاهر طبيعية معروفة. وما هو فيها مما فيه شيء من خرق الطبيعة المعتادة لنا (مثل نبع الماء من أصابعه الشريفة) فهو قليل جداً وندرته بحد ذاتها قد تكون دليلاً معتبراً لصدق وقوعها لأن الإنسان لو أراد أن يختلق خرافات لاستكثر منها إذ الكذب مجاني كما هو معلوم.

بالنسبة لقضية البرهنة على التأويل مع عدم القدرة على البرهنة على الحدث التاريخي: القضية أهمّ من مجرّد البرهنة، فنحن نستطيع البرهنة على أحداث تاريخية كثيرة (علم التاريخ كله هكذا)لكن المشكلة الأكبر هي أن نحيا نحن القصّة القرانية. فحتى لو افترضنا أننا استطعنا أن نبرهن بالصوت والصورة على وجود عصا خشبية فلقت البحر الأحمر بقدرة قادر، فهذا لا يكلّمنا نحن اليوم ومن العبث أن نُخاطَب به ونحن لن نُبتلى ولن نملك لا العصا ولن نحتاج شقّ أي بحر لا أحمر ولا أزرق. القصص القرآني جاء لنفوسنا نحن، و"من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، فإن كانت القصة لا تعنيني أنا بالتالي من حسن إسلامي تركها، وأظن واضح خطورة هذا الموقف من القرءان.

قالت: أتفق جملةً وتفصيلا.

في حين قد لا أرى الفرق الشاسع مابين قصص موسى ومحمد، فعلى سبيل المثال لا الحصر، بإمكاننا رؤية شخص يخلع نعليه اليوم أو يساعد في السقاية ولا نستطيع رؤية أحد يُسرى به أو جيوش خفية من الملائكة ومع ذلك نُسلم بحدوثها.

بالمناسبة الحمدلله ان بلّغك وبلغنا خاتمة سورة طه، الله يجعل كل كلمة قلتها وكل نَفَس اتنفسته في ميزان حسناتك وينفع الأمة بيها.

قلت: ملاحظة عظيمة، شكراً على تنبيهي عليها لأني لم ألتفت من قبل لهذه النقطة بهذه الصورة. لكن مع ذلك، فقد أشرت إلى وجود جوانب من هذا القبيل في قصة محمد وذكرت ومثال نبع الماء، وهذه الأمور التي ذكرتيها (المعراج والملائكة) تابعة لنفس الصنف. وفعلاً في كل قصة نبي توجد عناصر غيبية وشهادية. حتى الجانب الشهادي (مثل خلع النعلين) حتى هذا يجب تأويله باطنياً حتى ننتفع به الآن، ومن هنا قال بعض العرفاء أنه رمز على اطّراح الكونين من القلب الدنيا والآخرة. وإن كان بالإمكان العمل به ظاهرياً من وجه، مثل خلع النعلين قبل دخول المسجد الذي صار هو ذاته مجلى للوادي المقدّس طوى. كذلك الحال في الإسراء، فهو مشهود لأهل الإسراءات من الأولياء، مثلاً ابن عربي كتب عن إسرائه وشهد الأنبياء وهكذا. الفكرة وراء كل هذه الأمثلة هي كيفية قراءة القرءان قراءة حية وحلولية وحالية. حية يعني معبرة عن حقائق الوجود ومتحققة الآن. حلولية يعني معانيه تحل فينا وتتسبب نحن في إحلالها وتنزيلها في العالَم. وحالية يعني تؤثر في تغيير أحوال نفوسنا وتتجلى في زماننا.

الحمد لله. آمين الله يسعدك ويجعل المستمعين مثل المتكلم في الثواب.

قالت: إطّراح الدنيا معلوم، إطّرّاح الآخرة يكون بالزهد في نعيمها؟ مقام (ماعبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك)؟

قلت: نعم. أن يكون القصد معرفة الله، وأما الجنة فهي مكان مريح لمعرفة الله والتعلم منه، لذلك ورد أن أصحاب الجنة يقرأون القرءان على الله.

قالت: الله يجعلنا منهم.

قلت: آمين.

...

{ولقد عهدنا إلى ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما}

{نسي} قصور في العقل. فإن النسيان من شأن العقل، "أن تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى".

{لم نجد له عزماً} قصور في الإرادة. فإن العزم من شأن الإرادة. "فاصبر كما صبر أولوا العزم".

بالتالي، حقيقة ءادم هي العقل والإرادة.

فالعهد الإلهي له بُعد عقلي وبُعد إرادي. أي علم وعمل. البُعد العقلي يعني دوام تذكّر الحقائق الإلهية والوجودية، لذلك اسمه الآخر هو "الذكر" كما قال بعدها "فإما يأتينّكم منّي هدى...ومَن أعرض عن ذكري..ونحشره يوم القيامة أعمى". فالذكر رؤية المعلومة الصادقة وجودياً باستمرار في العقل. وضدّه النسيان الذي هو خلوّ العقل من هذه المعلومة الإلهية. البُعد الإرادي يتعلّق بدوام العمل بحسب مقتضى الحكم الرباني بغض النظر عن الظروف الخارجية والبشرية والطبيعية والنفسانية. فالعقلي يجعل العقل مرآة الوجود، والإرادي يجعل الإرادة فوق الكون. ومن هنا اسمه "خليفة"، فإن الله حقيقة الوجود وإرادته قاهرة غالبة.

{وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى}

الخلافة الآدمية ضدّ المملكة الفرعونية. فلمّا شرح أمر فرعون في سورة طه، ذكر بعدها أمر آدم حتى نرى الفرق.

ففي الفرعنة، يقول فرعون "ما أريكم إلا ما أرى" (وهو الرأي، أي العقل)، "وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" (وهو الأمر، أي الإرادة). فيتم تعظيم عقل وإرادة فرعون، واعتبار عصمتها

ووجود الخضوع لها ولو قهراً. أما في الخلافة، فحتى الخليفة ذاته يمكن نقده بأنه "نسي ولم نجد له عزماً" أي الإشارة إلى قصور عقله وتقصير إرادته.

في الفرعونة، السجود يكون من الناس لفرعون، بينما في الخلافة، السجود يكون من الملائكة لآدم، أي لا يسجد الإنسان للإنسان قهراً، وإن سجد فطوعاً وإيماناً كسجود أسرة يوسف له "وخرّوا له سُجَّداً".

في الفرعنة، المتمرد والمعارض يُقهَر ويُستَعبَد ويُقتَل ويُقطَّع ويُخرَج ويُنهَب، ونحو ذلك من عقوبات النفس والبدن والمال. بينما في الخلافة، المتمرد الآبي مثل إبليس أو السامري، يذهب ويُترَك حُرّاً في الدنيا، وأقصى ما في الأمر هو بيان عداوته والردّ على أقواله كما فعل الله مع إبليس كما بيّن بعدها...

{فقلنا يآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنّة فتشقى}.

{عدوّ لك} أي للعقل، {ولزوجك} أي للإرادة. فأصل آدم العقل، والإرادة زوجه، فإنه قد يوجد العقل بدون إرادة لكن لا توجد الإرادة بدون العقل. العقل قد يكشف الوجود لكن يراقب ويشهد وينظر فقط بدون أن يكون له دافع لتغييره الوجود أو فعل شيء فيه، بالتالي قد يوجد العقل بدون إرادة، ومن هنا قد تجد سورة قرءانية كاملة كلها عقل وعلم وأخبار عن الوجود بدون أمر تكليفي وعملي واحد مثل سورة القدر، لكن لا توجد ولا سورة كلها أحكام تخاطب الإرادة ب"افعل ولا تفعل" في القرءان كله، لأنه وجودياً يستحيل ذلك، إذ لا إرادة بدون عقل. بالتالي، {عدو لك} لعقلك، {ولزوجك} لإرادتك. هذا تأويلها في باطن الإنسان.

{فلا يخرجنكما من الجنّة} القرءان. لذلك قال "ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى" في أول سورة طه. فالقرءان جنّة العقل بأخباره، وجنّة الإرادة بأحكامه.

تأويل آخر على المستوى الأرضي أو السياسي: الجنّة هي دار الخلافة، والجحيم هي دار الفرعنة. {فلا يخرجنكما من الجنّة} من دار الخلافة القائمة على أصول الإنسانية والحرية الفردية والكلامية والدينية، {فتشقى} في دار الفرعنة ذات القهر والاستعباد والإكراه في الكلام والدين، كما قال فرعون لموسى مثلاً "لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين" أو كما فعل ببني إسرائيل وبالسحرة المؤمنين بغير إذنه ونحو ذلك من مظالم فرعون.

{إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى}

في دار الخلافة، لابد من توفير الحد الأدنى من المعيشة، وليس الحد الأعلى إذ لا حد أعلى يمكن تمييزه إذ لا يملأ فم ابن آدم إلا التراب عند الموت والدفن لأن الآدمية إطلاق العلم

والإرادة، فالعلم دائماً يريد المزيد، والإرادة دائماً تريد التحقق والظهور، فإذا تحوّل إرادة المزيد من العلم إلى المال أو المادة لانتهى ذلك بإفساد الأرض وسفك الدماء ونحو ذلك بالضرورة، وإن سعى كل فرد إلى جبر الآخرين على إرادته لانتهى ذلك أيضاً إلى الفتنة في الأرض والفساد العظيم. لابد من الرضا بالحد الأدنى من المعيشة المضمون لكل فرد على مستوى الخلافة أي الدولة، ثم بعد ذلك يسعى كل فرد لما فوق ذلك كما يحب. لكن لا يُترَك الناس بدون الحد الأدنى من أصول المعيشة التي تدفع ألم الجسم والموت عنه، إذ الجوع والعري والظمأ والحرّ كلها أمثلة على أسباب تؤثر الألم في الجسم وإن استمرّت قتل الجسم، فالصحة تدخل في ذلك أيضاً من حيث أنها ألم ومن حيث أنه قد يأتي بعده قتل الجسم. وقس على ذلك. فما يؤدي إلى ألم الجسم وقتله لابد من رفعه عن جميع أفراد الجماعة الآدمية في الأرض. فهذا الطرف والحد لابد من حفظه وعدم تجاوزه. لكن في المقابل، لابد على الأفراد أن يقنعوا بهذا القدر من ضمانة الخلافة السياسية، لأن ما عدا ذلك سيؤدي إلى فساد من الجهة الأخرى، لكن لماذا يرضى الإنسان بهذا الحدّ الأدنى من المعيشة؟ لأنه آدم. لأنه عقل. لأنه يريد الازدياد من العلم، وهذا مقصده المركزي والأعظم في هذه الحياة الدنيا. بدون ذلك، لن يقنع الناس، وسيحدث ما هو حادث.

{فوسوس إليه الشيطان} لابد من وجود الشيطان في دار الخلافة، يريد أن ينقلها إلى دار الفرعنة.

{قال يآدم} خطاب للعقل. الفساد يبدأ من العقل. من الفكر. والإرادة تبع لفساد العقل. لذلك نسب الله الشقاء والعصيان لآدم دون زوجه، وإن كان كلاهما أكل منهما، لأنه لولا العقل لما فعلت الإرادة شيئاً، بالتالي أعظم تحصين لابد أن يكون للعقل، وذلك بالتركيز على العلم والبرهان والرؤية والشهود ونحو ذلك.

{هل أدلّك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى}:

الشجرة من التشاجر وهي الطبيعة، أي التركيز على الطبيعة بدلاً من الروح المتعلّم. والخُلد فيه إشارة لمعنى الذهن، بمعنى التركيز على المعرفة الذهنية والإعراض عن العلم الإلهي والوحي النبوي والكشف الذوقي. والخلد بمعنى دوام العيش في الأرض وعدم الانتقال من الدنيا إلى الآخرة، ففيه كفر بالآخرة ونسيان لها والتركيز على ظاهر الحياة الدنيا وعدم رؤيتها كمرحلة سيتم تجاوزها، أي نسيان الموت وحتميته والاعتقاد بأنه يمكن إلغاء الموت "يود أحدهم لو يعمّر ألف سنة". فشجرة الخلد إذن البدن والذهن والزمن. هذا الثالوث الأنجس الأخبث الذي يضلّ به الشيطان آدم.

المُلك تركيز على إرادة السيطرة على الناس والأشياء، بدلاً من استعمالها بالقدر الكافي للعيش للتفرغ للعلم والعبادة والذكر. تحويل الإرادة من النظر إلى ملك الآخرة العظيم إلى ملك الدنيا الحقير الذي همّه أكثر من بسطه وعاقبته الدمار مع إفساد دار القرار.

إذن، شجرة الخلد دخوله من جهة عقل آدم، وملك لا يبلى دخوله من جهة إرادة آدم. وحين قدَّم الأمر له بصيغة السؤال {هل} خاطبه بالاستفهام الذي يجمع ما بين العقل والإرادة. فكلّم آدم بكل حقيقته، عقلاً وإرادةً وبرزخاً.

{فأكلا منها} أي الشجرة واحدة، لكن أحد آثارها-بحسب زعم إبليس- الخلد والأثر الآخر المُلك الذي لا يبلى.

{فبدت لهما سوءاتهما} السوءة الجسم بدون الروح، كما قال عن ابن آدم المقتول "كيف يواري سوءة أخيه" أي جثّته التي صارت جسماً بلا روح، ولم يقصد عورته. فحين أكلا منها تحوّل آدم وزوجه من الروحانية إلى الجسمانية، ومن التجريد إلى التجسيد، ومن الحضور الإلهي إلى الجهل الطبيعي. وشهدوا العالَم بدون الله.

{وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة} كالذين يعيشون حياة مادية جسمانية مالية، لكن يكرهون هذا الأمر فيأخذون ديناً ظاهرياً شعائرياً مع شيء من الألفاظ العقائدية كسطوح يسترون بها ظواهرهم وأذهانهم وألفاظهم. فهذا ينطبق على الذين لا يؤمنون بالدين على وجهه ويأخذونه كلّه ويغيّرون ما في أنفسهم ليصبحوا روحانيين ومتعلّمين ومركز حياتهم وأمرهم وطريقة تفكيرهم مبنية على الذكر والعلم الإلهي، بل يأخذون بالسطوح والقشور والظواهر مع بقاء سوءاتهم على ما هي عليه. ولن ينفعهم ذلك ولذلك قال..

{وعصى ءادم ربّه فغوى} العصيان وصف الإرادة، والغي وصف العقل. أي صارت إرادته منفصلة عن إرادة الله، وعقله منفصل عن تعليم الله. صار مستقلاً عن الله.

{ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى} بعد تلقّى الكلمات التي دعا بها وأقرّ بها بظلمه وعاقبته فلجأ مرّة أخرى إلى الله "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين"، فربط نفسه بالله من جديد وانسلك في سلك العبودية مرّة أخرى.

{ثم اجتباه ربّه} فالمجتبى ليس المعصوم عن العصيان والغي، بل الذي يدعو الله ويلجأ إليه حتى بعد العصيان والغي.

{فتاب عليه} تغيّر العقل. حين يلتفت العقل من النظر إلى الجسم بدون الروح وربّه، والنظر إلى الدنيا بدون الآخرة، ومن النظر إلى الطبيعة إلى النظر إليها كعالَم أي علامة على رب العالمين.

{وهدى} تغير الإرادة. حين يرجع إلى الأخذ بأمر الله شريعةً وطريقةً.

{قال اهبطا منها جميعاً} آدم وزوجه. مَن طاوع إنساناً في أمر كان له مثل مصيره فيه.

{بعضكم لبعض عدوّ} كما قال "إن من أزواجكم وأولادكم عدوّ لكم فاحذروهم". والعداوة تضارب المصالح والمقاصد واختلاف الذوات. فآدم كان رجلاً وامرأة في شخص واحد، فلمّا هبط انفصلاً، فصار رجلاً وامرأة في جسمين مختلفين. والانفصال حدّ، والحدّ يجعل المصالح مختلفة. واختلاف المصالح سبب العداوة.

{فإمّا يأتينّكم} الرجل والمرأة والذرية.

{مِنّي هُدى فمن اتبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى} لا في الدنيا ولا في الآخرة، لا في عقله ولا في إرادته.

{ومَن أعرض عن ذكري، فإن له معيشة ضنكاً} فلا تعرضوا عن الذكر خوفاً على معايشكم وحفظاً لما تظنونه سعادة في المعيشة. فهي ضنك عليه في الدنيا.

{ونحشره يوم القيامة أعمى} في الآخرة، لعمى قلبه عن الحق تعالى، فالإقبال على الذكر بصيرة ويفتح البصيرة.

{قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً}

جهل عن أن الحشر سيكون بحسب البواطن، لا بحسب الظواهر. أي باطنك اليوم هو حشرك غداً.

{قال كذلك أتتك ءاياتنا فنسيتها} فالهدى والذكر والآية شيء واحد من ثلاثة جوانب. هو هدى لأنه يهدي الإرادة إلى الأعمال المؤدية إلى السعادة، وهو ذكر لأنه يجعل العقل ناظراً إلى الحقائق الوجودية، وهو آية لأنه أمثال من ظاهر العالَم على باطنه. وهذه هي الرسالة الإلهية، لابد فيها من الجوانب الثلاثة.

إذا كان نسيان الآية يُعمي، فتذكّر الآية يُبصِّر. بالتالي، قراءة القرءان بصيرة القلب.

{وكذلك اليوم تُنسى} ما تفعله مع القرءان في الدنيا سيفعله الله معك في الآخرة. فعظّم القرءان يعظّمك الله.

{وكذلك نجزي} فمثَل الأعمى مَثل أعلى له مظاهر كثيرة، وليس قضية شخص بعينه. على طريقة القرءان في البيان.

{مَن أسرف} وهو خروج الإرادة عن الحد الرباني المشروع. أي مخالفة أحكام القرءان.

{ولم يؤمن بآيات ربّه} وهو رفض العقل للبيان الإلهي المشهود. أي مخالفة علوم القرءان.

{ولعذاب الآخرة} فما معنى عذاب الأعمى في نفسه الآن، أي في قيامة النفس الباطنية. والآن يشرح عذاب الآخرة وهو القادم غداً للنفس حين تنعتق من الجسم،

{أشدّ وأبقى} الآخرة نحو وجود أقوى من الدنيا، فكل ما فيها أشدّ من كل وجه مما في الدنيا. كالجنين وجوده أضعف من وجود الجسم في الطبيعة الآن، كذلك الحال بالنسبة للنفس، ما هي عليه اليوم أضعف مما ستكون عليه غداً. وأبقى لأنها دار بقاء لا دار فناء كالدنيا.

{أفلم يهدِ لهم} هؤلاء الذين يختارون الحياة المادية على الحياة العلمية الروحانية.

{كم أهلكنا قبلهم من القرون، يمشون في مساكنهم} كونهم يمشون في مساكنهم دليل على أنهم قد هلكوا وإلا لما ورثوا مساكنهم. فالله لا يتحدّث عن غائب إلى بدليل حاضر. فتأمل هذه الطريقة في البيان. فبما أن من قبلكم هلك فأنتم ستهلكون، فلماذا تقضون عمركم وتراهنون بمصيركم على البُعد الفاني منكم.

{إن في ذلك لآيات لأولى النهى} الذين ينهاهم عقلهم عن ما هو أولى وأنفع وأحق. فمن أراد مصلحته فليكن على الطريق الروحي العقلي.

فإن قلت: فإن كان الذين من قبلنا أهلكهم الله لأنهم اختاروا حياة الدنيا على حياة الروح، فها نحن نرى اليوم أناس يختارون حياة الدنيا على حياة الروح، والمفروض المعقول أن الأثر يحصل حين يحصل سببه، فما بالنا لا نرى هلاك أبناء الدنيا فوراً؟ فالجواب:

{ولولا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاماً وأجلٌ مُسمّى} الكلمة التي سبقت هي كون الدنيا دار ابتلاء، والابتلاء يقتضي وجود فترة ومساحة يختار فيها الإنسان ما بين الدنيا والآخرة، والبدن والروح، والمال والعلم، ويجعل مركزه أحدهما ويجعل الآخر إما تابعاً له (كأهل العلم يجعلون المعيشة تبعاً لطلبهم العلم) وإما منفياً تماماً (كأهل الدنيا الذين قد ينفون الدين تماماً من وجودهم أو يجعلونه ثانوياً وتابعاً لهواهم ودنياهم). هذه الكلمة التي سبقت تجلّت في

الأجل المسمّى، فالأجل المسمّى معطوف على الكلمة، أي الكلمة المتعالية تجلت في الأجل المسمّى وعلى أساسها قُضي بالأجل على كل حي في الدنيا. بالتالي، سبب الإهلاك ليس اختيار الدنيا، لكن سبب الإهلاك حلول الأجل. فقد يعيش مَن اختار الدنيا أطول مما يعيش مَن اختار الآخرة. فلا علاقة للإهلاك بالاختيار، جوهرياً. الإهلاك فرع الكلمة التي مجلاها الأجل. لذلك قال له بعدها...

{فاصبر على ما يقولون} الصبر يكون على أمر تعرف أنه سينتهي، وبما أنك تعرف أنه يوجد أجل مسمّى لكل حي في الدنيا، والله سيحاسب الناس، فتكليفك أنت حين تجتمع وتختلط بالناس الذين يقولون ما تكره وما ترفض هو أن تصبر على ما يقولون، أي لا تعتدي عليهم بسبب قولهم ولا تمنعهم من قوله بالإكراه، بل تصبر عليه، والصبر لا يكون إلا على حاصل وموجود مكروه، بالتالي قولهم موجود ومكره ومسموع لك وقد يؤذيك ومع ذلك عليك واجب الصبر على ما يقولون.

{وسبِّح بحمد ربك} فأنت حقق في نفسك ما أنكره الكافرون بأقوالهم. فإن سمعت قولاً من الخارج يؤذي نفسك، فقل في نفسك قولاً يشفي نفسك. الداء من غيرك والدواء في نفسك.

{قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناءَ الليل فسبِّح وأطراف النهار} الفريضة والنافلة، وعلى مدار اليوم ما استطعت، وهذا التسبيح بالتفرغ للتسبيح والتركيز فيه، وإلا فحتى أثناء العمل للمعاش قد يسبّح الإنسان ويذكر، وحتى أثناء النوم قد يُحسَب نومه تسبيحاً إن نام مثلاً وهو يسبّح ويذكر ربّه.

{لعلّك ترضى} علامة الدين الحق أن الله يخبرك كيف ترضى أنت، وعلامة التدين غير السليم أو الفاسد أن يوهمك البشر أنك تسعى لإرضاء الله الغني عن العالمين على طريقة " وعجلت إليك رب لترضى" فردّه ربّه بـ"إنا فتنّا قومك من بعدك". الله يرضى لعباده الإيمان لأن الإيمان يسعدهم، فالله يرضى لك وعنك حين تكون أنت راضياً سعيداً.

...

أيهما أفضل: أن تكون لديك الحرية الشخصية-السياسية (تتصرف بأمان بدينك وكلامك وجسمك وكثير من مجالات حياتك الخاصة والعامة)، لكن لا تكون لديك الحرية الاقتصادية (يعني لا تملك بيتك ولا مصدر دخل مستقر بكسبك ونحو ذلك من أمور المعيشة)، أو أن تكون لديك الحرية الاقتصادية بدون الحرية الشخصية السياسية؟

هذا هو السؤال الواقعي المعروض على كثير من الناس.

بعبارة أخرى: هل تفضل نفسك أم جسمك؟

نعم، حين تطمس نفسك من أجل جسمك، فتفضّل الاقتصادية على الشخصية، فالنتيجة حتماً ستنعكس على نفسك، فقد تملك المال والاستقرار المعيشي لكن ستنال نفسك عذابات بدرجة ما. وفي المقابل، إن اخترت نفسك وحريتها وضحيت بمعيشتك، فجسمك قد يتعب ونفسك ستتأثر أيضاً بدرجة ما. النفس والجسم متصلان، فمهما فعلت سيتأثران، لكن بدرجات مختلفة.

الأفضل تقديم النفس على الجسم، بالتالي الحرية الشخصية السياسية. لماذا؟
أولاً، لأن نفسك أقرب إليك وأشد تأثيراً فيك من جسمك ومجتمعك.
ثانياً ولعله الأهم، لأنك في البلد الذي فيه الحرية الشخصية السياسية ستستطيع بإذن الله وعن قريب تغيير وضعك الاقتصادي من سيء إلى حسن أو من حسن إلى أحسن، أما في البلد المنعدم أو الضعيف جداً في الحرية الشخصية السياسية فلا أمل منظور ومعقول في تغيّر الوضع من هذا الجانب، وأن تكون في وضع سيء قابل للتغيّر القريب والواقعي أفضل من أن تكون في وضع سيء غير قابل للتغيّر القريب بل ولا البعيد المعتبر ولا بسلام وأمان.

أكثر الناس يُفضّلون الجانب الاقتصادي على الجانب النفسي. أوهامهم تريد الحرية النفسية، لكن خوفهم من فقدان مراكزهم الاقتصادية والاطمئنان الغريزي للعادة والأسرة والقبيلة، يجعلانهم يُسوّفون ويؤجلون بدون نية فعلية وخطة عملية. المراهنة على هذا الخوف والاعتياد هي التي تجعل أصحاب الطغيان على النفوس بل والأجسام والأموال يطمئنون إلى أنهم مهما أوغلوا في دماء وكرامة الناس فلن يحدث شيء. وهي مراهنة أثبتت نجاحها بنحو يجعلها خياراً معقولاً.

...
(فلمّا تراءى الجمعان، قال أصحاب موسى "إنّا لمُدرَكون". قال "كلّا، إن معي ربي سيهدين")

فرق بين الاتباع على بصيرة أي الأتباع، وبين الأصحاب. في الأتباع وحّدهم به فقال "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتّبعني".

التابع بصير بالحقيقة، الصاحب تُعميه الصورة.

(قال أصحاب موسى "إنا لمُدرَكون") لأنهم رأوا البحر أمامهم وفرعون خلفهم. ولعل الأذكياء منهم فكروا هكذا "لو أراد الله أن نحارب فرعون لجعلنا نحاربه في مصر، ونحن اعتدنا على أن البحر لا يتغيّر فلا يمكن اختراقه، بالتالي سيدركنا فرعون ونُقتَل". بعبارة أخرى، الأصحاب فكّروا بأعين حواسهم وميول أمزجتهم وما اعتادته نفوسهم.

بينما الأتباع لهم شأن آخر. التابع ببصيرته الغيبية الروحية يرى الحق كما قال "فلما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما". وكذلك لما حاول البعض تخويفهم من عدوهم وجمعهم "قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل".

الصاحب ينظر إلى الطبيعة، التابع ينظر إلى الله.

من هنا الصاحب قد يتجرأ على نبيه ووليه، فيؤذيه بالقول وبالفعل كما قال موسى لهم "لم تؤذونني" وقالوا له "اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون". فالأصحاب قد يتخلون أو يضعفون عن الصبر، بينما الأتباع من المحبين المستبصرين "يبايعونك تحت الشجرة" يعني على الصبر معك حتى النهاية.

فلو أراد إنسان أن يدعو لنفسه بخير فليقل "اللهم قَلّل أصحابنا وكثّر أتباعنا".

...
قال الرومي
(كن في الصوم صابراً صامداً / منتظراً لحظة بعد أخرى قوت الله)

الطعام موجود عندك حتى قبل حلول وقت الإفطار، لكن الصيام يعني عدم تناوله حتى يأذن الله وحسب شرعه. لكن يوجد وقت للأكل، فالصبر ليس انتظاراً مفتوحاً لا تعرف له نهاية، بل أنت تعلم بوجود النهاية ولعلك تعلم وقتها بالضبط كما في حاله الصيام الذي وقت نهايته غروب الشمس أو الليل.

عقلية الصائم هي عقلية إنسان له مبدأ متعالي على الطبيعة وينتظر تجليه في الطبيعة بدون أن يستسلم لتغيّرات الظروف الخارجية لتضغط عليه وتجعله يرفض المبدأ.

(صابراً) داخل نفسك، يعني لا تغيّر فكرتك ونيّتك الأصلية حتى تتحقق.

(صامداً) خارج نفسك، يعني قاوم العوامل المحيطة بك الساعية لتغيير طريقك.

(منتظراً لحظة بعد لحظة) بأن تشغل نفسك بروح الصوم الذي هو ذكر الله وقراءة كتابه وتعليمه. فالزمان ضروري لتحقيق مبادىء الإيمان في العالَم الخارجي، لكن ملاحظة الزمان تؤلم الروم لأنه من عالَم "كُن فيكون".

(قوت الله) الطعام الطبيعي يصبح قوت الله، كل موضوع طبيعي أو اجتماعي تنتظر فيه الفرج من الله بشرط ثباتك على الأمر والمقصد الحق بدون انحراف ولا تحريف فهذا الأمر حين يتحقق سيصبح قوتاً إلهياً وليس مجرد خير عادي. الصبر على الأمر كيمياء تحوّل الطبيعي إلى إلهي. والصيام درس تجريبي ليحدث فيك هذا التغيّر الجوهري العقلي.

الصيام ليس جوعاً ولكنه درس في فن الصبر على المبادىء المقدسة ومقاصد الشريعة.

...

قد أستطيع تحويل العصا إلى ثعبان،
لكن لا أستطيع تحويل الحمار إلى إنسان.
"إنك لا تهدي مَن أحببت، ولكن الله يهدي مَن يشاء"

...

سبب القلق:

تخيّل أنك تمسك بيدك شكلاً هندسياً (لنقل مُثلَّث)، ولنقل أن الوجود والموجودات حولك لها شكل هندسي آخر لكنه مجهول لك، لأن الوجود يتغيّر ويتطور ويتبدل وأنت لا تعلم ما ستؤول إليه الأمور وعلى أي شكل هندسي سيستقر الوجود. رضاك حين يكون شكل الوجود مثل الشكل الذي بيدك. فأنت تمسك مُثلّثك وتنظر إلى الوجود وهو يتخذ شكلاً ما، فلأنك تجهل نهايته تعيش في قلق جذري، ثم كلما رأيت الوجود يتخذ شكلاً أبعد من المثلث (لنقل ثُماني)، تضطرب وتنزعج وتنفر، فإذا بدأ يتغير ويقترب من مثلثك ثم ابتعد عنه تُصاب بالإحباط، وإذا أخذ فعلاً شكل المثلث تقلق وتتوجس من تغيره مرة أخرى. إذن، ما جذر كل هذا الازعاج؟ الجذر: أنك لست نقطة. من نقطة وعيك، نقطة التعليم المستمر، نقطة الشهود، من هذه النقطة استطعت أنت أن تخترع مثلثك، لكنك كفرت نقطتك بصورة مثلثك. ارجع إلى النور العلي الذي عبّر عنه

الولي بقوله "أنا النقطة" التي تحت باء البسملة. الوجود هو اسم الله وإرادته، أنت نقطة تحت باء عرشه ساجد وقابل لما سيتنزّل منه. هو سيختار شكل الوجود لا أنت. ادعاؤك الربوبية ضمناً بإرادتك صياغة الوجود على شكل مُثلّث هو سبب العذابات الكثيرة المختلفة المتوالية عليك. أنت تقول للوجود "أنا ربكم الأعلى"، فلا تستغرب من "فأخذه الله نكال الآخرة والأولى". عملك هو شهود الوجود، وخلافتك هي تعليم الحقائق لكل قابل موجود. بذلك تكون نقطة نور، وأياً كان شكل الوجود ستكون أنت مركزه لأن النقطة مركز كل الأشكال، وستكون أنت حياته وستجد فيه مكانك وستمدّه لأن النقطة مداد كل شكل وأضلاعه. العالِم المُعلِّم هو الوحيد الذي يحيا كنقطة، وأهل الطريقة الأحرار يجدون سعادتهم في كل شكل. نعم، الشيء الوحيد المرفوض لأهل نقطة الباء هو أن يكونوا مستعبدين لمخلوق لأنهم حينها سيكونون تحت عرش عبد شيطاني وليس تحت عرش الباء الإلهي. لكن بعد الحرية من الخلق، الكل مقبول لأنه من عرش الحق. فقل في دعائك "اللهم ربي أنت الحق ذو الجود، فثبّتني على نقطة الشهود وتعليم القابل الموجود".

...

(الإسراء ١)

{سبحان} السبحان يتعلّق بعالَم الملكوت، والتبارك يتعلّق بعالَم المُلك. بدليل "سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه تُرجعون"، والملكوت هو العالَم الذي يُرجَع إليه أي لأنه اقترن ب"إليه تُرجعون" كما في قوله "إنا لله وإنا إليه راجعون" و "إن إلى ربّك الرجعى"، والرجوع سيكون للنفس "يأيها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربّك". فالسبحان عالَم النفس، وشأن النفس المجرّدة. أما التبارك فمتعلّق بعالَم الجسم والدنيا، كما في "تبارك الله أحسن الخالقين" حين ذكر أطوار الجسم، وكما في "تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالَمين نذيرا" والفرقان والإنذار إنما هما لكائنات العالَم السفلي، النازل، الهابط، الدنيوي، الذين هم في دار الابتلاء والاختيار ما بين الخير والشر والحق والباطل، وهذه كلها شؤون الجسم وعالَم الطبيعة.

من هنا نعلم أن قوله بعدها...

{الذي أسرى} هو إسراء بالنفس، لا بالجسم. إسراء ملكوتي، لا مُلكي. هذه حقيقته. لكن لأن النفس في هذا العالَم مقترنة بالجسم بالضرورة، فلابد أن يكون للإسراء مظهر جسماني أيضاً بشكل ما.

هو تعالى الذي أسرى.

{بعبده} ذكره بأوّل وجوهر سماته، السمة المجرّدة، ونكّره ولم يعرّفه لأنه العبد المطلق الذي لا يرى لنفسه وجوداً ولا صفةً مطلقاً إلا بربّه، ولأن هذا العبد سيكون له مظاهر شخصية متعددة في العالَم.

"سبحان" تتعلّق بذات الحق تعالى، و"أسرى" تتعلّق بفعله. ف{عبده} هو عبد الهاء، هاء الهوية المطلقة. فهو العبد المطلق للإله المطلق. كيف عبده؟ بأن تكون ذات ربّه هي الذات الوحيدة التي يعقلها، ويكون فعل ربّه هو الدافع الوحيد لعمله. أي عقله في الله وإرادته بالله. فقَبِل التسبيح وقَبِل الإسراء من ربّه لأنه عبده.

{ليلاً} الزمان. والليل تجريد ورمز على الغيب والتسبيح، فهو شاهد آخر على "سبحان" التي افتتح بها الآية. تقدّس الزمان وتحديداً الليل لأن الإسراء وقع فيه، فصار كل ليل في الأمّة القرآنية المحمدية باباً إلى حقائق الإسراء، ومن هنا "إنا أنزلناه في ليلة" و "قُم الليل...إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً".

{من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله} المكان. من مسجد إلى مسجد، والمسجد محلّ ظهور السجود الذي هو أعلى مظاهر العبودية.

الحرام مركز، الأقصا محيط. المركز ثابت، المحيط متغيّر ونسبي فهو أقصا بالنسبة إلى الحرام. لذلك لم يعرّف الحرام بصفة لكنه قيّد الأقصا بـ{الذي باركنا حوله} لأننا سنعرف الأقصا بهذه العلامة، أي الأقصا قد يتغيّر بحسب مدى توسع سلطان الأمّة الربّانية، فكيف نعرفه؟ بأنه {الذي باركنا حوله}، كما في قوله عن نار موسى "بورك مَن في النار ومَن حولها وسبحان الله رب العالمين"، فالأقصا مركز لما حوله وإلا لما كان له حول {باركنا حوله} مثل "ترى الملائكة حافّين من حول العرش يُسبّحون"، فالأقصا مركز لأن النار الإلهية الكلامية حلّت فيه فصار ما ومَن حوله مباركين بفضل وجوده، كل مكان بعث الله فيه صاحب النار الإلهية الكلاميه وأمره بتأسيس مسجده فيها صار مسجداً أقصا، ولا يكون ذلك إلا حين يأذن الله بمدّ سلطان الإسلام إلى سعة جديدة لن ينقبض بعدها منها. في زمان بعثة النبي، كان الأقصا في بلاد

الشام، إذ الحاجز الأكبر لانتشار الدعوة القرآنية إنما كان من جهة بلاد الشام عند الرومان، وفعلاً فُتِحت تلك البلاد وصارت حدّاً للمسلمين وسعة لم تنقبض أبداً، ومنها بدأ التوسّع في الدعوة أكثر، لكن بقيت المقاومة من ما بعد ذلك قائمة وحتى إلى الغرب حيث لم يصل بعد الاستقرار الإسلامي إلى القارّة الأمريكية الشمالية والوسطى والجنوبية، فالأقصا لم يصل بعد إلى هذه القارّة التي هي آخر حدود العالَم المأهول. فالأقصا سيُبنى في أمّ قرى هذه القارّة الأمريكية حين يأذن الله، لا أعلم موضعه بالتحديد لكن لابد أن يصح المسجد الأقصا إلى هذه النقطة على يد مبعوث الرحمة الإلهية، وسنرى أنه سيشير إلى موسى ونوح في الآيتين بعدها تأكيداً لهذا المعنى إذ مَن فيه الروح الموسوية والنوحية هو الذي سيؤسس المسجد الأقصا في أرض العالَم الجديد الذي كان مجهولاً لسكّان العالَم القديم أو لم يصلوا إليه ويستقرّ فيه الإسلام كما استقرّ في الحجاز في أوّل زمان هذه الدعوة القرآنية المحمدية.

{لنريه من آياتنا} المقصد. الغاية. الغرض من الإسراء هو رؤية الآيات. فمدار الدعوة والتوسّع إنما هو التعليم الحرّ والدخول الحرّ بلا إكراه في الدين. ليس المقصد نيل دنيا ولا العلو في الأرض، هذه مقاصد المنافقين والمشركين. المساجد حيث تُتلى الآيات، وتلاوة الآيات بغرض تدبرها، وتدبّرها من أجل رؤيتها في الآفاق والأنفس، ورؤيتها لمعرفة أنها الحق، ومعرفة أنها الحق للتسليم والإسلام وإخبات القلوب لله تعالى، وسلامة القلوب للنجاة في الآخرة، والنجاة هي المطلوب.

{إنه هو السميع البصير} المصدر. المبدأ. الآية القرآنية إما أن تسمعها وإما أن تبصرها، تسمعها حين تكون متلوة عليك، وتبصرها حين تنظر في صورة الكلمة المخطوطة. ومن هذين المدخلين يدخل القرءان إلى الفؤاد. الإسراء يكون بالعبد وينتهي بالسميع البصير، أي يصبح العبد بربّه سميعاً بصيراً، ويشهد أن هويته {هو} وسمعه {السميع} وبصره {البصير} كلها حقائق إلهية في صورته العبدية الظلّية. فلا وجود ولا موجود إلا الله. هذه نهاية رؤية الآيات ومعرفة الرسالة.

حتى لا تقيّد الحق تعالى في مظهر من مظاهر الخلق بدأ الآية بـ{سبحان}، لأن ما بعد ذلك سيكون قيوداً، فالعبد قيد والليل قيد والمسجدين والحركة بينهما قيد والآيات المرئية قيد، هذه كلها قيود مظهرية للذات الإلهية وفعلها، فبدأ بالتسبيح تنزيهاً عن اعتقاد تقيّد الله في هذه المظاهر. نعرف الله في المظاهر لكن نُسبِّحه لأنه الظاهر.

إسراء عبده في الزمان والمكان آية على سريان ذاته وفعله في جميع الأعيان.

...

قال النبي صلى الله عليه وسلم {ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم} وفي رواية {إنهم يجعلون له نِدّاً ويجعلون له ولداً وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم} وفي رواية {إنه يُشرَك به ويُجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم}.

بداية الدين الحق والانتقال من الوحشية إلى الإنسانية هو حرية الكلام. بدون حرية الكلام لا دين ولا دنيا معتبرة. كل ما عاناه الرسل يدور حول حرية الكلام التي فقدوها في أقوامهم هم وأتباعهم فحصل ما حصل، "إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشّرهم بعذاب أليم". النبيون الذين يتكلّمون بالأنباء أي الأخبار عن الوجود، والأمر بالقسط يتعلّق بالأحكام أي أفعال الإيجاد، فالنبي للعقل والآمر بالقسط للإرادة، وآيات الله هي الجامعة للأنباء والأحكام. فقتل النبيين من أجل كلامهم عن الوجود، وقتل الآمرين من أجل كلامهم عن الإيجاد، فكلاهما قُتِل بسبب القول. وهذا معنى عدم وجود حرية الكلام. والأمثلة أكثر من أن تُحصَر. حتى في هذه الأمّة، التي هي مَثل على بني إسرائيل، فقد قتلت النبيين وقتلت الذين يأمرون بالقسط من الناس ولا زالت تقتل وتُخرج وتُثبت أي تحبس وتنهب وتفعل الأفاعيل بالنبيين والآمرين. بالمناسبة، من هنا نعلم صحة حديث " علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل"، فإن النبي قال بأن هذه الأمّة ستسير حذو القذّة بالقذّة وحذو النعل بالنعل كما فعلت الأمم السابقة، وقد عرفنا من القرءان أن الأمم السابقة قتلت النبيين والآمرين، فلابد أن نرى هذه الأمّة تقتل النبيين والآمرين، وحيث أن نبينا هو خاتم النبيين، فلم يبقَ مصداقاً للنبيين إلا العلماء والصالحين والدعاة والمبلّغين عن الله ورسوله، " العلماء ورثة الأنبياء". وفعلاً إذا نظرت إلى تاريخ هذه الأمّة ستجد قتلاً وتعذيباً وتنكيلاً عجيباً بالمتكلّمين من أوّل تاريخها إلى زماننا هذا ولا يزال الأمر قائماً. ما المخرج من كل هذا؟ المخرج : مبدأ حرية الكلام.

لترسيخ هذا المبدأ، بدأ النبي بإظهار قيام الله تعالى ذاته بهذا المبدأ. ومنه الحديث المذكور. {ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله}، فقوله {أذى سمعه} هو كلام صدر من الناس، وضرب النبي أمثلة بالشرك والند والولد، وكلها من أبطل الباطل وأفحش الفواحش اللفظية وألعن الذنوب قاطبةً. لكن مع ذلك، في الدنيا، {ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله}، ففي حدود دار الدنيا وهي موضع مبدأ حرية الكلام لا غير إذ في الآخرة سيُجزى كل إنسان بما قاله ولو

في سرّه "إن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه يحاسبكم به الله"، ففي حدود الدنيا الصبر على الكلام ولو كان باطلاً ومؤذياً للسامع هو الواجب، الواجب على الإنسان والذي يقوم به حتى الله تعالى. فكيف يكون الصبر على الأذى الكلامي؟ يكون كما أخبرنا النبي عن الله ونحن نشهده أمامنا بشكل عام. وهو {يعافيهم، يرزقهم، يعطيهم}. بعبارة أخرى، الحياة الدنيوية يجب أن لا تتأثّر بالكلام، معافاة الناس في أبدانها من الأذى، وفي أرزاقها وفي أعطياتها العامّة منفصلة عن أقوالها ولو تكلّمت ضدّ أعلى سلطة في الوجود وهي سلطة الله تعالى ذاته فما بالك بمن دونه. فالذي يتعرّض للذات الإلهية يتركه الله ويعافيه ويرزقه ويعطيه، فما بالك بمن يتعرّض لذات مَن دون الله تعالى. ترجمة هذا المبدأ عملياً تكون بأن نفصل المعايش عن الكلام. فمعيشة الإنسان في المجتمع يجب أن تكون مستقلة عن كلامه ومواقفه الدينية، باختصار لا إكراه في الدين ولا في التبيين الذي هو في الحقيقة جزء من الدين إذ "لكم دينكم ولي دين"، فكلامك في الحقيقة جزء من دينك بل لعله أعظم أجزاء دينك. "هل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم" كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. إعطاء سلطة لإنسان لم يعطيها الله تعالى حتى لنفسه لا يكون مجرّد كفر عادي بل هو كفر أشدّ من كفر فرعون من حيث أن فرعون أقصى ما ادعاه المساواة مع الله وأمّا هذا فيعطي نفسه أعلى مما أعطاه فرعون لنفسه. كذلك الحال في إعطاء سلطة لإنسان في أن يعاقب إنساناً في عافيته ورزقه وعطائه بسبب كلامه الذي آذاه فعلاً أو توهماً، فهذه سلطة فوق إلهية، لا نقول فقط فوق نبوية، بل فوق إلهية في هذا العالَم. وهذا بالضبط ما رضي ويرضى أو يسكت عنه أكثر المتأسلمين بل يدّعون لأنفسهم أن لهم الحق في أن يعاقبوا من يؤذيهم بكلامه أو يدّعي ما يرونه باطلاً أو مجحفاً بحق كبير من كبرائهم أو سيد من ساداتهم. الله نفسه يصبر، والله أمر نبيّه بالصبر "فاصبر على ما يقولون"، لكن هؤلاء يرون لأنفسهم من السلطة والحق فوق ما لدى الله ورسوله من السلطة والحق في هذا العالَم. لذلك ولابد أن يهينهم الله ويذلّهم ويخزيهم ويضرب عليهم الذلّة والمسكنة، لأنهم جعلوا أنفسهم فوق الله ورسوله فسيجعلهم الله تحت أقدام الجميع ومذلولين في أعين الجميع. التوبة العاجلة من هذا الكفر والجرم واجبة على الأمّة كلها في أسرع وقت وإلا فما سيأتي سيكون أشدّ مما مضى. "ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى".

...

لا تستعجل في قبول ما يدّعي البعض، ولو كان عالماً ولو كان داعية مشهوراً، بأنه في كتاب الله ولو ادّعى بأنه أحصى الآيات في الموضوع وأعطاك نتيجة بحثه. حتى تذهب وتتأكد بنفسك خصوصاً في المواضيع الكبيرة.

مثلاً، سمعت شخصاً كثيراً ما يدّعي أنه متمسّك بحبل القرءان ولو في وجه الأحاديث الصحيحة، وهو شيخ سنّي بالتالي هذه دعوى عريضة، سمعته يقول بأن الرسل لا تُقتَل. أي في كتاب الله الرسول لا يُقتَل لكن الأنبياء قد يُقتَلون. سمعت هذا قبل سنوات كثيرة، وبقيت عالقة في قلبي لا تنهضم بفضل الله. قبل بضعة أيام قرأت هذه الآية من سورة البقرة "ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون". إذن، الرسل تُقتَل. "أفكلّما جاءكم رسول..فريقاً تقتلون".

بنبني على هذا الأمر الكثير، منها أن استمرارية الرسل في الأرض لا ينقضها قتل مدّعي الرسالة. ومن الآية أيضاً إمكانية مجئ رسول لكنه رسول تابع لرسول آخر مثل الرسل الذين جاءوا من بعد موسى وخُتموا بعيسى، فمن موسى إلى عيسى دورة رسالة كاملة. وعلى ذلك، قد يأتي رسل من أهل القرءان من بعد محمد الذي هو موسى الجديد.

...

لا داعي للاستعاذة من الشيطان في كل صلاة، فلا أحبّ تعكير صلاتي بذكر الخبيث ولو في عرض الاستعاذة. وحسبنا الله، فقد قال "إنه ليس له سلطان" على المخلصين لله المتوكلين عليه، بالتالي، قولنا "بسم الله الرحمن الرحيم" بالإضافة إلى التوحيد في القلب يكفيان لتحقيق حقيقة الاستعاذة.

...

وردني سؤال طويل ومعقّد صاحبته أرادت الفضفضة أكثر من السؤال الدقيق فسأُعرِض عنه لكن سأذكر ما أجبت به من الأمور العملية المفيدة:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته طالبي بحقوقك بقوة. الدعاء مُستجاب حين يشاء الله وكما يشاء وهو الأنفع لك. كل شيء تقولين أنك تؤمنين به لابد سيقع لك ابتلاء ليكشف لك قبل كل شيء هل فعلاً تؤمنين به. سيختلف الابتلاء بحسب دعوى الإيمان. الإيمان لا ينجي الإنسان في الدنيا من القتل والظلم فإن الرسل أنفسهم يُقتَلون أحياناً، لكنه نجاة روحية وأخروية. بمعنى حتى إذا خسرتي الدنيا ستشعري بالقوة في نفسك وستجدي النصر بعد موتك.

...

قالت: ممكن اسأل عن رأيك في الجنس وكيف تتحسن علاقة كل انسان مع جنسانيته. ولو فيه مصادر ممكن ارجع لها وابحث فيها

قلت: رأيي أنه ضروري للجسم ورمز للروح ورائحة في الجنة في الدنيا. وعدم التشبع منه هو واحد من أهم أسباب التعاسة والعنف في حياة الناس. تحسين العلاقة يكون فكرياً بفهم

أهميته، ونفسياً بقبوله وعدم الاشمئزاز منه أو اعتباره سيئة ضرورية مثلاً، وجسمانياً بالمداومة عليه بمتعة وتلذذ وتفنن وأخذ كافة الوقت لإرضاء الشريك قبل إرضاء النفس مع وجود التلذذ المشترك طبعاً.

...

قالت: في موضوع سبب لي ارق الفتره الاخيره بستشيرك فيه موضوع المربي في الطريق والرجوع له فكل شي احس هذا ينافي الفردانيه وتكوين الشخص علاقه خالصه مع الله بدون تدخلات انا مع ان يكون في اخوان لك او اصدقاء بالطريق لان الرحله مش سهله وتحتاج ناس معك ممكن بنفس مرحلتك او سابقين لك وتخطو امور كثيره لكن ان ارجع لأحد لمجرد فكرة انه ممكن يكون افهم مني بنفسي احس فيها استعباد نوعاً ما ومايحتاج اقلك اننا اتشربنا الاستعباد لين شبعنا مااستحسن شي فيه مسحة زي كذا حتى لو الغايه الله ممكن في حالة يكون في حب جدا عميق وثقه وامان وعوامل كثيره ممكن تخلي الشخص هذا مرجع لي في اموري الحياتيه والاخرويه ولكن مش لانه الكل قاعد يتبع له لانه ربي فتح عليه اكيد مو كلنا ساوسيه بس التبجيل يأذيني واما اتكلم مع احد من اهل الطريق بهالامر يدخلو الايقو والنفس في الموضوع محد للان استوعب وجهة نظري كامله
انا اشوف المربي شخص عند مشاكله و واضحه وجليه لي ولكن سابقني في الرحله انا اساعده مرات وهو يساعدني ربي فتح عليه في اشياء مافتح فيها عليا والعكس فالتبجيل والرجوع له بكل الامور مايستهويني قد ماأكلم صديق لي اكن له كل محبه وارتياح
اسفه الكلام مو مرتب بس اكلمك وكأني بكلم نفسي ويهمني اعرف رائيك.

قلت: مبدأ طريقتي مثل مبدأ الشيخ ابن عربي: التعلّم من كل أحد والانتماء للواحد الأحد. يعني من كل مَن تجدي الله فتح عليه تعلمي، بل حتى من الجهلة يمكن للمفتوح عليه أن يسمع الحكمة من باطن كلامهم وأفعالهم وأحوالهم. فالاستفادة من الكل لأن الكل مظهر الفضل الإلهي. الأصل في الطريق الفردية. الشيخ الذي لا يعزز فرديتك ليس شيخاً لكنه دجال يريد الناس أسراء له وعبيد تحته. لكن الفردية لا تتعارض مع طاعة الرسول والدخول في الجماعة، لأن بعض الناس أعلم وأعلى درجة عند الله وباتباعهم نصير في درجتهم بإذن الله، وكذلك الجماعة المفتوحة (يعني التي لا تجبر أتباعها على الانغلاق غير المعقول والتعصب الأعمى للأشخاص والعقائد المخترعة) هذه الجماعة مفيدة من نواحي كثيرة. أعرف شخصاً لم يستمع لكلام شيخه بالرغم من أنه يؤمن بأنه وارث الرسول في زماننا، هذا الشخص بحجة الفردية لم يستمع، فكان على وشك أن يعمل شيئاً يضره جداً لولا تدارك الله له برحمته وشفاعة شيخه

فيه. وكذلك هو نفسه سأل الشيخ أن يدعو الله له في أمر، فلما دعا له وحصل له الأمر فبدلاً من التركيز على أعمال الطريقة مع شيخه صار ملهياً عنه بالدنيا وملهياً بالأمر الذي دعا له فيه..

يعني الخلاصة: إذا عرفتي الله ورسوله في ولي في زمانك، فنصيحتي هي لزومه بأكبر قدر ممكن والحذر من فكرة الفردية هذه واستعمالها في غير مكانها. فأنت في نهاية المطاف بقرارك الفردي تتبعين الولي ولم يجبرك على شيء.

الموضوع يدور حول مَن هو الشيخ، وليس حول الاتباع ذاته. "فاتبعوني يحببكم الله". لكنه اتباع على بصيرة ، وليس على عمى وتعصب وحمية جاهلية في ثياب إسلامية.

قالت: الشيخ شيء مختلف تماماً عن المربي عندنا الاحتكاك المباشر يكون بالمربي الي المفترض وكله الشيخ لهذي المهمة ولكن الي اكتشفته مؤخرا ان المريدين هم الي يعملو ضجه وقصص فيها مبالغه حتى اذا دخل احد الطريق وشاف الحال ممكن يهرب الا اذا ربي لطف فيه وخلاه يشوف حقائق الامور وحقيقة الشيخ بدون تزيف واوهام .. ولكن انا مقدرت اتماهى مع الامر سلطان لان شفت المربي انسان مثلي تماماً ونواقصه واختلاته البشريه واضحه واما قلت هالكلام قالو لي ربي حجبه عنك عشان ماتشوفي انواره الان الي اسويه اني بتعلم زي ماقلت من الكل وملتزمه بالذكر ولكن احوالي الي امر فيها مو جالسه اتناقش فيها مع احد قلبي يقلي امسكي في الاوراد والاسم الاعظم وسيبيك من الباقي هم فيهم المدد وكل الخير .. قصة المربي والفقراء فيها من الفتنه اكثر من الخير

قلت: لا أستطيع أن أحكم على هؤلاء الذين ذكرتيهم لأني لم أجالسهم. أنتي أدرى. لكن المدد من الله،والأعمال أصلاً من فضله وتوفيقه وإلا فلا قيمة لها. فاصبري على هذا حتى يفتح الله ويشرح صدرك للأحسن والأسلم.

...

حين قدمت مهاجراً إلى أميركة، ضربتني حُمّى شديدة. بعدها بنحو ستة أشهر حين قدّمت معاملة الهجرة رسمياً، بعدها بيوم واحد، ضربتني حمّى شديدة. الثانية كورونا، وهي التي أنا الآن فيها (منذ سبعة أيام تقريباً)، لكن الأولى لا أدري إن كانت كورونا أيضاً أم لا. قبل أن تصيبني هذه الحمّى الثانية، كنت أقرأ في السيرة عن الحمّى التي أصابت المهاجرين وكانت في المدينة عموماً. فحمدت الله على التأويل، وتصبّرت بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه عن فضائل الحمّى وكونها طهوراً وهي حظّهم من عذاب الله. تذكّرت أيضاً أن "الجنّة

حُفَّت بالمكاره"، فلابد من المرور عبر المكروه لدخول الجنّة، فالمكروه سور مضروب حول الجنّة لابد من العبور من خلاله لدخولها، وقد علمنا أن أحد تجليات الجنّة في الأرض هي كل بلدة لا إكراه فيها في الدين والتبيين. فحمدت الله على التأويل. ثم نظرت في قلبي، فوجدت أني لا أبالي إن مِتّ حينها، خلافاً لما كان عليه حالي من قبل أن أنشر ما كنت أكنزه من الكتب والكلمات، فحمدت الله حمداً كثيراً على تبديل الحال، ورأيت المرض بُشرى خير وعلامة تبدّل جوهري في نفسي وحياتي ومصيري.

...

(الردّ على مَن ينكر التطعيم)

هذا أمر أردت كتابته منذ فترة طويلة لعلها تجاوز السنّة، وبقي عالقاً في عقلي فالآن جاءت فرصة كتابته بإذن الله. قد استمعت لحجج منكري التطعيم فوجدتها كلها ضعيفة أو باطلة أو غير متناسقة مع أفكار أخرى يحملها نفس الذي يحمل فكرة الإنكار. تعالوا ننظر.

١-يقول المُنكر (خلق الله لجسمي قوة مناعة للدفاع ضد الأمراض فلا أحتاج إلى سبب من خارج جسمي للحفاظ على صحتي)

أقول:

أ/ حسناً، إذن تعال نختبر قوة جسمك هذه عبر التطعيم. لأن التطعيم إنما هو إعطاء الجسم لجزء بسيط من الفيروس حتى يعرفه ويقاومه ويتغلّب عليه، نوع من التمرين على الحرب. فإن كنت فعلاً ترى جسمك مؤهلاً لمقاومة الفيروس حين يأتي بكل جيشه، فلماذا تهرب حين نعرض عليك مقاومة كتيبة واحدة من ذلك الجيش.

ب/ بناء على فكرتك تلك، يجب إغلاق جميع المستشفيات والصيدليات، على الأقلّ، نعم على الأقلّ لأن الخطوة بعدها ستكون إغلاق جميع المزارع والمطاعم بنفس جوهر الحجّة وهو أن الجسم مكتفي بذاته ولا يحتاج إلى شيء من الخارج وهي فكرة سيثبت خطؤها طبعاً بعد بضعة أيام على الأكثر، بل حتى الهواء الذي تتنفسه إنما يأتيك من خارج جسمك فلماذا لا تكتفي بالهواء الذي يأتيك من داخل جسمك. لكن لنتنزّل عن مسألة الهواء، ونتنزّل حتى عن مسألة الطعام، ولنقتصر على الطب. المُنكِر لا ينكر جميع الطب، (قد يوجد مَن ينكر جميع الطب وهؤلاء أكثر اتساقاً من وجه، لكنهم قلة قليلة متطرفة يُردّ عليهم ببقية الحجج المذكورة). المُنكر لا يعترض على عمل عمليات جراحية، أو أخذ أدوية ضغط وسكر ولمنع تجلطات القلب، ولا ينكر من الطب والتوسّل بالأدوية "من خارج الجسم" اللهم إلا في التطعيم. مع أنه لا فرق حقيقي بين الاثنين. بل الأدوية أشدّ تدخلاً من التطعيم، لأن الأدوية فعلاً تدخّل خارجي، لكن

التطعيم إرادة تقوية المناعة الداخلية حتى فعلاً لا تحتاج إلى أدوية حين يضربك الفيروس. فالذي يقبل الأدوية أو حتى الفيتامينات الرياضية أو غيرها، وينكر التطعيم، بحجّة الاكتفاء بما هو داخل الجسم، فهو يقول ما لا يعقل.

ج/ ثم ماذا عن الطعام؟ الطعام نفسه الذي تأكله له وظائف أحدها تقوية المناعة الداخلية، بالتالي من هذا الوجه هو يشبه التطعيم.

٢-يقول المُنكِر (لكن التطعيم من اختراع البشر لكن الطعام من خلق الله فلذلك نقبل الطعام والهواء وبقية هذه الأمور ونرفض التطعيم)

أقول:

أ/ الطعام أيضاً عملت فيه يد إنسان، والطعام الذي تأكله في هذا الزمان حتى الفواكه منها قد تدخّل الناس في زراعتها وكثير من شؤونها.

ب/ ولماذا يكون ما صنعه الإنسان سيئا؟ إن كان هذا فعلاً رأيكم، فلا تسكنوا أيضاً أي بيت صنعه إنسان واسكنوا الكهوف التي "خلقها الله" حسب اعتقادكم، ولا تلبسوا شيئاً لأن اللباس من صنع الإنسان وأما الله فخلقنا زلط ملط، ولا تستعملوا مشطاً ولا فرشاة أسنان ولا أي شيء على الإطلاق تدخلت فيه يد إنسان، ولا تركبوا سيارة ولا طائرة وانقلوا كل أغراضكم على ظهور الحمير أو على ظهوركم أنتم بدلاً من الاستفادة مما اخترعه الإنسان بيده، هذه اليد الكريمة التي تأكلون منها وتبصقون عليها.

ج/ ثم الأهمّ من كل ما سبق، الأدوية أيضاً من "اختراع البشر". فلابد أن لا تأخذوا دواءً، ولا تدخلوا مستشفى، ولو نزلت بكم آلام السماء والأرض على جسمكم هذا الذي تعتقدون بأنه مكتفي بذاته وكأنه الذات الإلهية والعياذ بالله.

٣-يقول المُنكِر (لا داعي لأن آخذ باختياري جزء من الفيروس حتى أحمي نفسي من مستقبل مشكوك فيه يتضمن حصولي على الفيروس كله، فأنا سأترك نفسي فإن قدّر الله لي الحصول على الفيروس حينها سيأتيني هو بالعلاج في وقتها)

أقول:

أ/ هذا التفكير يدور حول إنكار التأمين. التأمين الذي لا تتحرّك بضاعة في العالَم بدونه بشكل عام، بل حتى حزام السيارة الذي تربطه على طفلك حين يركب خلفك، فكرة التأمين هي فكرة التطعيم. بمعنى، أنك تدفع قليلاً الآن لتتقي الدفع كثيراً غداً إن حصلت حادثة من المحتمل أن تحدث، وكذلك تعمل قليلاً الآن (تربط الحزام) حتى تتقي شراً كبيراً يمكن أن يحدث

في المستقبل (شاحنة تصفعك على قفا سيارتك). لذلك ليس لكل فيروس تفرض الدول العاقلة ولا أظن حتى غير العاقلة على مواطنيها التطعيم منها. بل الفيروسات الخطرة والمنتشرة فقط. التطعيم ليس بالوسوسة، لكنه بالدراسة. يعني إن درسوا الفيروس ووجدوه خطراً جداً كبعض الأمراض التي تصيب الأطفال فتقتلهم (البوليو مثلاً)، أو وجدوه سريع الانتشار وسيسبب خطر على فئات كبيرة من المجتمع ويوقف حركة المجتمع (الكورونا التي رأينا ولا زلنا نرى ماذا تفعل بحركة المجتمعات)، حينها يفرضون التطعيم لمقاومته بما يمكن.

ب/ من جهة أخرى، وبما أني لاحظت على منكري التطعيم عادةً بأنهم من "المتدينين" بشكل أو بآخر، حسناً، فانظر إلى نفس تديّنك هذا وستجد فيه نوعاً من التأمين ضد خطر مستقبلي. أنت تصلّي الآن ليس لأنك ترى جهنم أمامك، لكن لأنك تتقي جهنّم ولو بشقّ تمرة، فصلاتك وشقّ التمرة هي نوع من المبلغ الذي تدفعه مسبقاً لوقاية نفسك من شرّ تتوقع حدوثه، وإن لم يحدث فعلاً الآن وبشكل ظاهر للكل بدليل وجود مَن ينكره. فالمتدين يأخذ تطعيم روحاني خوفاً من مرض أبدي، والملحد ينكر على المتدين هذا التطعيم والخوف من المرض الأبدي ويدعي أنه وهم غير موجود. هل تلاحظ المفارقة؟ يبدو وكأن بعض المتدينين عكسوا القضية ويريدون-ولو لاشعورياً وبشكل متعصّب أعمى-مناكفة المجتمع العلماني الحديث عبر إنكار ما يخافه ورفض ما يتوسّل به. لكن بعيداً عن هذا التحليل، يكفي تنزيل الفعل الروحاني على الفعل الطبيعي حتى يكفّ المؤمن عن هذه المناكفة الفارغة. المؤمن يفعل روحانياً ما ينكره طبيعياً، بينما الأولى به أن يكون في عمله الطبيعي متوافقاً وممثلاً لعمله الروحاني.

ج/ التطعيم تمرين وتأمين. تمرين حالي لعضلات جهاز مناعتك، وتأمين مستقبلي لجسمك. والتمرين نفسه جزء من التأمين. كما أنك تمرّن جسمك بالرياضة لتزيد من قوته وحسن حركته، كذلك التطعيم تمرّن به عضلات مناعتك الداخلية لتزيد من قوتها وحسن حركتها حين يأتي الفيروس. فأنت تأخذ من خارج جسمك الحديد والحبال وغيرها من الأدوات لكي تمرّن عضلات جسمك الخارجية، فما المانع من أن تأخذ من خارج جسمك التطعيم لتمرّن "عضلات" مناعتك الداخلية.

د/ في حياتنا اليومية أمثلة كثيرة جداً على خطوات نقوم بها من باب التأمين ضد خطر مستقبلي محتمل، أمثلة لا حصر لها في كل مجال. توجد أمثلة كبيرة مثل التأمين الذي يشتريه صاحب المصنع، أو فحص طالب استئجار بيتك أو دكانك لتنظر إن كانت إمكاناته المالية وصفاته الأخلاقية أدعى ليسدد لك أم لا، أو شراء سيارة فيها أكياس هوائية وأحزمة وحديد قوي، أو حتى حين تغلق باب غرفتك أو حمامك بالمفتاح اتقاء لدخول ولدك عليك وأنت تلعب مع مَن تلعب معه أو معها (حسب الحال). الادعاء بأن الاحتياط للمستقبل فيه نوع من

الشك في الله أو رحمته أو عنايته هو أمر لم يقوم عليه لا دين ولا إلحاد بلا استثناء ويستحيل ذلك أصلاً. بالنسبة للمسلمين يقول الله في صلاة الخوف "خذوا حذركم"، وحين تنظر في تفاصيلها ستجد أنها كلها احتياط من شرّ محتمل في المستقبل وهو "يميلون عليكم ميلة واحدة". ويستطيع أهل كل ملّة أن يجدوا في كتبهم وأفكارهم ما يشبه هذا الأمر. لا يوجد أحد ولا أشدّ المنكرين للتطعيم يمارس عملياً هذا الإعراض عن الاهتمام بالمستقبل والمخاطر المحتملة منه، اللهم إلا بألفاظه فقط حين ينكر التطعيم، وأما في حياته العملية فلو نظر فسيجد أنه يومياً لعله يتخذ ثلاثين قراراً كلها مبنية على اتقاء مخاطر مستقبلية. فلتكن أقوالكم مثل أفعالكم.

٤-يقول المُنكر (الكورونا هذه مؤامرة، صنعوا المرض ثم صنعوا التطعيم حتى يبيعوه للناس)

أقول:

أ/ طيب، إذن تعترفون بأن المرض موجود، وتعترفون بأن التطعيم ينفع في العلاج منه. الحمد لله. هذا أوّل الخير. لأنني لاحظت أن نفس الشخص أحياناً قد يقول لك بأن المرض وهم والتطعيم لا يؤثر، ثم ينقلب في مجلس آخر ويقول لك بأن المرض حقيقي والتطعيم يؤثر وسبب اللعبة كلها كسب المال. فانتبه لهذين الأمرين، وقبل مجادلة أي منكر (إن كنت تريد ممارسة مثل هذه الرياضة العقلية) تأكد منه أولاً هل هو من الفريق الأول أم الثاني، ولا تجعله يقفز بين الموقفين حتى يشتتك، بل يشتت نفسه قبل ذلك لأنهم على الأغلب قوم مشتتين جداً.

ب/ مَن هؤلاء الذين "صنعوا" ؟ مشكلة الذين لا ينظرون في الواقع كثيراً ويقرأون التاريخ ويتأملون في قدرات الإنسان، هي أنهم سيبالغون في تقدير الأمور، غلوّ إن شئت. يظنون أن الناس لهم قدرات خارقة على صنع مؤامرات عالمية. هذا هراء. هراء بالمناسبة-والكلام للمسلمين-لم يبدأ في الانتشار عندنا إلا بعدما صارت دولنا ضعيفة وسخيفة ويحكمها قوم تافهين نصّابين مجرمين، وبدأ يأتينا الهراء الذي كان ولا يزال يصنعه عموماً بعض جهلة المسيحيين الحداثيين الماديين (نعم، مسيحي حداثي مادّي، لا تناقض). فهؤلاء يتوهمون بأن " الشيطان رب هذا العالَم" ومن هذا التخيّل الفاسد يتخيّلون بأنه يوجد "أبناء الشيطان" الذين ستكون لهم قوة وتحكم في العالَم. لكن مشكلة هؤلاء أن دولهم هي أقوى دول في العالَم ! فما العمل؟ دينهم يخبرهم بأنه يجب أن يكونوا مُضطَهَدين مثل يسوع إلى أن تقوم الساعة، لكنهم يجدون واقعهم بخلاف ذلك، فهل يعترفون بأنهم صاروا عبيداً للشيطان أم يغيّرون دينهم أم يخترعون وهماً للتوفيق بين هذه المتعارضات؟ لن يعترفوا ولن يغيّروا بالتالي اخترعوا ولا يزالوا. من هنا تأتي خرافاتهم عن سيطرة اليهود أو الماسونية أو السحالي أو لا أدري ماذا على

العالَم وألوان كثيرة من هذا الهراء الذي يبرع فيه القوم الذين لا يعقلون ولا يريدون أن يعقلوا. من عند هؤلاء تأتي خزعبلات المؤامرة (لا ترفعوا قدرها بتسميتها "نظريات"). أصلها النفساني هي عقدة الاضطهاد، بكل ما فيها من قوة وفوائد للذهن الضعيف المختلّ الذي يفسّر كل ما يجهله ومحلّه في العالَم عبر الاعتقاد بأنه مُضطَهد وإن كان لا أحد يضطهده إلا نفسه ولا يوجد سبب ليضطهده أحد أصلاً. تفنيد كل مؤامرة مزعومة ممكن وقد حصل ويحصل وهو عادةً أمر سهل نسبياً. لكن أردت أن أشير إلى الجذر، وبالنسبة لتفكيرنا كمسلمين هذا الأمر غريب علينا بشكل عام. نعم، وجدت منذ القديم بعض هذه الوساوس لكنها لا تبلغ شيئاً يُذكَر، مثلاً مؤامرة عبدالله بن سبأ اليهودي أو شيء من هذا القبيل الذي يمكن ردّه إلى الخلاف السياسي الواضح المعروف ولا يحتاج إلى كثير عناء لتفنيده. أما ادعاءات خزعبلات المؤامرة المعاصرة، فهي أكثر تعقيداً وأصحابها أكثر تفنناً، وأشدّ غباءً أيضاً. (مثال واحد بسيط: يوجد دجال بريطاني مشهور يزعم بأن العالَم يحكمه سحالي في شكل بشر، لكن ما عجز عن تفسيره هذا الأبله هو كيف استطاعت السحالي التخفّي كل هذه الفترة وحكم كل هؤلاء الناس وفعل كل تلك الأفاعيل ومع ذلك عجزوا عن دعسه بسيارة حتى يكفّ عن "فضحهم".)

ج/ بالنسبة للكورونا خصوصاً، بعضهم قال أن الكورونا وهم وأن التطعيم فيه مادة قاتلة، لأن صانعو المرض يريدون إبادة جزء كبير من البشرية، لكن البعض الآخر من نفس حزب "الأذكياء" هؤلاء قال الكورونا حق وأن التطعيم فيه مادة شافية لأن صانعو المرض يريدون كسب ثروة كبيرة من بيعه. كما ترى، يكفي للردّ على مؤامرة المذهب الأول بمؤامرة المذهب الثاني. وهذا أيضاً أمر شائع في هذا النوع من التفكير اللاتفكيري. عادةً ستجد أن الذين يخافون من التطعيم بحجّة أن فيه مادة قاتلة هو أنفسهم أصحاب عادات سيئة جيداً في الأكل والحركة، ليس دائماً لكن عادةً، ولعلهم يأكلون أموراً فيها من الأضرار المقطوع بها أكثر مما في أي تطعيم على وجه الأرض. يشعرون، لاحظ عقدة الاضطهاد، بأن أحداً يريد قتلهم وهم سينجون منه، هذا يوهمهم بأهميتهم القصوى، وهو المطلوب الحقيقي من وراء هذه الأوهام. فحين يجد هؤلاء أن الأثرياء والمشهورين يسارعون بكل أموالهم ووسائطهم لنيل جرعات التطعيم قبل الآخرين من عموم الناس، ينصدموا. فلا يكون أمامهم إلا واحد من اثنين. إما أن يقولوا بأن هذا كله كذب وهؤلاء لا يأخذون التطعيم، حتى إن وجدوهم يتصورون سيقولون كذب. وإما إن كان فيه مسكة عقل ويدرك استحالة أن يتفق كل هؤلاء في كل بلاد الأرض بل ولعله يعرف بعضاً منهم ممن سارع إلى أخذه بل لعل السياسي الذي يدجّل عليه وينكر معه أو يظهر أنه من المنكرين قد أخذ التطعيم في السرّ كما حدث فعلاً، فحينها سيضطر إلى القول بأن المرض حق والعلاج حق لكن هؤلاء أيضاً مخدوعين سيموتون قريباً. (وكأنه هو سيعيش إلى

الأبد ! فتأمل) لأن التطعيم مفروض عليهم يقاومونه، ولو وجدوا أن التطعيم ممنوع منهم وأن الأغنياء والمشهورين فقط سيأخذونه وحين ينتهون منه سيوزعونه على عامّة الناس، ستجد هذا الفريق ينقلب ويعلن بأن المرض حق وأن العلاج حق والمؤامرة هي إرادة قتل الناس بمنعهم من تطعيم كورونا.

د/ مشكلة أخرى تواجه أصحاب المذهب الثاني الاقتصادي، أي أن التطعيم وسيلة لكسب المال، هي أن هذا ينطبق على جميع الأدوية وكل شيء في المجتمع عموماً. وجود وسيلة لكسب المال من شيء لا يعني أن الشيء مخترع بقصد كسب المال. ومن المشاكل أيضاً أن الدول صارت تترجّى مواطنيها بل بعضها صار يدفع لهم شيء من المال أو الجوائز لكي يأخذ التطعيم (أها، هذا يعني يريدون إغرائهم لكي يزرعوا شريحة في أدمغتهم الفارغة !). مشكلة ثالثة، لا يوجد ولا دولة ولا شركة في الأرض تستطيع أن تمنع علماء أي دولة أن يدرسوا المرض ويخترعوا العلاج، فلا يوجد أي دولة ولا شركة تتجرأ أصلاً على أن تحارب دولة أخرى إن اخترعت علاجاً مختلفاً، وقد حصل فعلاً لذلك توجد تطعيمات مختلفة من دول مختلفة. مشكلة رابعة، هي أن كل مكاسب بيع تطعيمات كورونا لا أظنّها تساوي جزء مما خسرته الدول جميعها وأوّلها الدول الصناعية الكبرى بسبب تعطّل الحياة التجارية والصناعية بسبب انتشار كورونا، فأي مؤامرة غبية هذه سعت لكل تكسب مائة عبر خسارة عشرة آلاف.

هـ/ من المشاكل التي تواجه أصحاب المذهب الأول الدموي، أي أن التطعيم وسيلة لقتل عموم الناس، هي أن النخبة والأثرياء في كل مجتمع قد سارعوا فعلاً لأخذ التطعيم بشكل عام. والدول قد أعطت التطعيم لعدد هائل من شعوبها وبعضها قد فرضه على الجميع، فهل توجد دولة تريد قتل "جميع" مواطنيها ؟ حسناً، لنفرض أنهم يريدون قتل نصفهم، لكن جميعهم ! الدول الغربية المتقدمة، أمريكا وغيرها، قد قدّمت إعطاء التطعيم لمواطنيها، فلماذا لم ترسله إلى الدول الفقيرة أولاً حتى تقتل أفراد تلك الأمم أولاً ثم تتعشّى بأفراد دولها؟ أم يا ترى بيض أوروبا يريد قتل مواطنيهم أولاً ثم فتح باب الهجرة للسود والسمر والصفر الذين يحبّونهم كثيراً لكي يعملوا عندهم ويرفعوا معدّلات المواليد في بلادهم التي أصلاً لا ينجب الناس فيها بما فيه الكفاية. سخافات بعضها فوق بعض. مشكلة أخرى هي أننا وجدنا فعلياً، كما في إيطاليا وغيرها، أعداد هائلة من الناس تُقتَل بسبب الفيروس، ولما انتشر التطعيم اختفت المشكلة، ماذا، سحر؟ أم أن الألوف من القتلى والعائلات الثكلى كل هؤلاء أعضاء في مسرحية كبيرة غرضها فقط الضحك على لحية حمار وحيد في غرفته يخترع المؤامرات لإشعار نفسه بالأهمية. مشكلة أخرى، هي كيفية تفسير عدم تعرّض الكثير من الناس للقتل فعلياً بعد أخذ التطعيم بنحو غريب وغير مألوف، لأن أعداد هائلة في الأرض كلها قد تطعّمت، بل توجد حرب

اقتصادية فعلاً قائمة ضد أصحاب العلامات التجارية للتطعيم حتى يتنازلوا عن حقهم في احتكار انتاج التطعيم لإعطائه لمزيد من الناس في البلدان الفقيرة لكن هذه الشركات (لا ننسى، هم رؤساء المؤامرة الدموية عند الموسوسين) رفضوا ذلك، فلماذا؟ إن كان الغرض قتل الناس فأعتقد أن البداية يجب أن تكون من الدول الفقيرة حسب المنطق الشرير.

من تجربتي :

قد أصابتني كورونا قبل بضعة أيام، وأنا الآن في يومي السابع على ما أظن، وقد وجدت ألماً لم أختبره من قبل، شيء دخل في دماغي وعيني وأذني مع آلام رهيبة في الحلق وضعف في الجسم، هذا وأنا متطعّم ثلاث مرّات بتطعيم فايزر، وجسمي الحمد لله رياضي ونظام غذائي نباتي صحي ولا أقرب شيئاً من الدخان والكحول، وما عندي مرض مزمن، ومع كل ذلك شدّته أقعدتني تقريباً خمسة أيام، واليوم هو أول يوم تذهب فيه الآلام تقريباً كلها. فلا أستطيع حتى تخيّل ماذا سيحصل لمن لم يتطعّم وهو سمين مدمن لبضعة مواد مضرة وكبير في السن. بل أستطيع تخيّل ذلك لأني رأيت شخصاً على التلفاز من المنكرين الذين تابوا بعدما أغرقهم يمّ المرض وأعلنوا إيمانهم بعد فوات الأوان وتمنّى لو كان قبل أخذ التطعيم من قبل على ما أذكر. أنا لا ألعب بالصحة، وينبغي علينا جميعاً أن لا نلعب بأمر الصحة. فيكفينا أسباب المرض من الطبيعة، ولا نحتاج إلى غباء بشري ليضاعف أسباب بقاء المرض أو تقوية أثره. نعم، لعل بعض المنكرين سيقول: حتى أنت من أعضاء المؤامرة. وجوابي سيكون...طز فيك !

...

اعتمد على إيمان المؤمن، لكن ثبّت اعتمادك على مراعاة مصلحته المادية أفضل. حتى لا تدع للشيطان سبيلاً إليه.

...

أفردني الحبيب ولولا ضعفي،
لما شكوت الغربة لقريب.
لكن تعزية نفسي بقولي،
في أرض ربي لست بغريب.
الذي جعل للشمس مداراً،
وللقمر منازل وللنمل سراديب.
يهون عليه بيت كريم،
يهبنيه فيشفيني وهو الطبيب.

شدّة الروح بعّدت صاحب،
وثقل العقل عذّب قريب.
وسكينة القلب تكليف عنيف،
على ذوات الذهن المستريب.
لكن الغربة عليّ أمر جديد،
ومعي القدير المُغني المجيب.
الذي خلق الجنّة لآدم،
واختار منزل نوح الأريب.
وأعزّ يوسف ورفع به،
ونجّى يونس من ضيق المحيط.
وكان مع النبي بالمدينة،
ناصراً للمؤمنين وبالكافرين محيط.

...

قال: طري علي بالي سوال . ايش يقصد ربنا بالهوئ في القران. يقول الكريم: افمن زين له سوء عمله واتبعو اهوائهم.

قلت: الهوى ضد الوحي. "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى". والوحي روح. "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً". إذن الهوى يتعلق بالجسم. وظاهر الحياة الدنيا. فالهوى هو اتباع مقتضيات الجسم وظاهر الدنيا والرأي المادي بدون الاهتمام بمقتضيات الروح والآخرة والعقل الرباني. مثلاً: الظلم من الهوى. لأن الظالمين يهتمون بمصلحتهم المادية ولا يبالون بالآخرة ولا يهتمون بأحكام كتاب الله ويقهرون روح الإنسان.

قال: الان وضحت وهل الفواحش بتعريفها المتعارف عليه تدخل تحت اتباع الهوئ؟

قلت: نعم. لأن الفاحشة عمل جسماني شهواني بدون اعتبار روحاني وإلهي. وعادةً تجعل النفس متجهة بقوة صوب المادة والكثافة المادية فتحجب وتسجن النفس في المادة.

...

وجدت اليوم أوّل من اخترع لقب "شيخ الإسلام" في التاريخ كلّه. المخترع هو رأس المنافقين ابن سلول. ففي السيرة الحلبية أنه أراد منافقة أبي بكر وعمر وعلي فقال لأبي بكر فيما قاله أنت كذا وكذا و"شيخ الإسلام".

...

الناس صنفان. صنف مُصدّقين وصنف مُكذّبين. المكذّبون هم الذين يبادرون إلى تكذيب كل شيء ويشكّون في نيّة وصدق كل متكلّم، كما هو حال أكثر الناس في بلاد الطغيان عادةً كما تجده في البلاد العربية مثلاً. المُصدّقون هم الذين يبادرون إلى تصديق المتكلّمين ولا أقلّ أنهم يعتبرونهم صادقين في أنفسهم، وهذا مثل ما وجدناه في أمريكا. نبينا كان أمريكياً من هذه الناحية، أو للدقّة الأمريكان يشبهون النبي من هذه الناحية، فقد قال عنه بعض اليهود والمنافقين "هو أذن" لأنه "يصدّق كل من يحدّثه". وفاتهم الحق من باطن حال النبي، لأن النبي لا يسمع الكلام إلا من الله، فعنده كل متكلّم إنما هو الله بالتالي لابد من وجود وجه حق في كل مقالة، فهو "أذن خير"، إذ يرى الخير في كل كلام.

...

جميع الأنظمة "الإسلامية" والعربية الحالية تدور حول فكرة واحدة وهي قهر العامّة. اختلفت الطرق واتّفق المقصد، بل الطرق ليست مختلفة ذاك الاختلاف. الأحزاب الثلاثة الأساسية كلها مبنية على قهر القلّة للعامّة، لكن الاختلاف فيما بينها هو في تعيين هذه القلّة وما مدى ونوعية ووسائل القهر الذي ستستعمله. والأحزاب هي: الَملَكية والعسكرية والإسلامية.

الحزب الأول: الحزب الَملَكي فكرته هي أن القلّة المكوّنة من عائلة خاصّة منها يتم اختيار رأس السلطة، ويدعم هذه العائلة مجموعة من القبائل والعساكر والمشايخ المنتمين لمذهب معين إسلامي. هذا النمط هو النمط التقليدي في قهر العامّة واستعباد الكافّة، والذي لا يزال يمثّله في زماننا دول الخليج والأردن والمغرب. هؤلاء يستعملون حجّة "طاعة ولي الأمر" القرآنية كوسيلة عقائدية لجعل العامّة يقهرون أنفسهم بأنفسهم عبر عقولهم وضمائرهم، لكن هذه الحجّة لابد من حمايتها عن طريق منع نقدها ويتم عادةً صنع أسوار متعددة من الحماية مثل صنع درجات من العقائد بحيث يحتاج الواحد إلى نقد أوّل درجة قبل الوصول إلى درجة ينقد فيها الفكرة الأساسية ويتم إسقاط قيمة الناقد والمعارض بمجرّد ما يكسر بعض تلك الأسوار الأولية. إلا أن هذا لا يكفي، أي الحجّة العقائدية لا تكفي بنفسها ولا لها تلك القوة، بل لابد من ممارسة العنف من قبل الدولة بنحو بشع مع تخويف وإرعاب الناس بشكل دوري بالإضافة إلى إظهار درجة من الفوضى في الحكم على الناقدين والمعارضين حتى يخاف الناس ويوسوسوا. فأوّل سور هو العقيدة الدينية، وثاني سور هو المخافة الغريزية، وثالث سور هو القوة العسكرية، وبعدها فقط يمكن الوصول إلى قلب السلطة الملكية. هذا النمط من التحكم بالعرب المسلمين وغيرهم فعّال للغاية وأثبت قوّته عبر التاريخ، وكثيراً ما تسقط دولة وتقوم أخرى على إثرها بنفس النمط مع اختلاف أسماء الحكام فقط.

الحزب الثاني: الحزب العسكري، فكرته مستوردة من الغرب الأوروبي ومبني على فكرة القومية وهيمنة المؤسسة العسكرية برأسها الذي يُختار من جنرالاتها. فهي نوع من الملكية لكن بدلاً من العائلة المعروفة النَّسَب تكون السلطة لطائفة العسكر التي هي مجموعة من الأوباش والسفلة عادةً وحثالة البشر الذين كان يستعملهم الملوك في تلك البلاد، لكنهم صعدوا إلى السلطة بانقلابات معروفة، ولذلك سفالة طغاة العسكر من العراق إلى بلاد الشام إلى أفريقيا الشمالية واليمن سفالة تدلّ فقط على أصولهم المنحطّة ونذالتهم التي لا تكاد تعرف حدّاً. فعلى الأقلّ لطغاة الملوك نوع من الأنفة والرقي ولو بعد حين لأنهم يريدون الحفاظ على المظهر الملكي الفخم لدولتهم، نعم هم سفلة أيضاً لكن مقارنة بسفلة العسكر هم من أهل الدرجات العلى. سفالة الملوك مبنية على التجبّر، لكن سفالة العسكر مبنية على أنهم أولاد حرام. (من الأمثال المصرية الشعبية القديمة: ابن الحرام يا قوّاس يا مكّاس. أي يا حامل قوس وهو الشرطي، ويا جامع مكوس وهي الضرائب أي موظّف مدني. فابن الحرام تجده عادةً يعمل عند الدولة. فإن كان ابن الحرام مَن يعمل عندهم، فما بالك برؤوسهم.) فالعسكر في البلاد العربية نذالتهم لا تعرف الحدود، ومدى نهبهم وقمعهم للعامّة لا يعرف ولا حتى قيد الخِسّة العادية. لذلك هؤلاء مهما حاولوا الاستعانة بشيء من الشيوخ الإسلاميين ليروضوا لهم الناس، فإن الجميع يعرف أن لا حجّة لهم، ويحتاج إلى دركة خاصّة من جهنّم لتوليد شيخ يصلح لتلميع صورة هؤلاء (انظر مثلاً بعض شيوخ مصر الحاليين الذين يحاولون تلميع صورة طاغيتهم حتى تعرف ماذا أقصد ذوقاً) سلطة العسكر مبنية حصراً على الحديد والنار، ولا توجد لديها حتى رائحة محاولة استعمال الحجج الدينية لدعمها. في بعض الحالات، يتم استعمال حجّة "العسكر سيمنعون التطرف الإسلامي وهيمنة الإسلام السياسي"، فيجدون دعماً من مشايخ لأنهم يعتبرونهم سوراً بينهم وبين خصومهم من الإسلاميين، فكأنهم يقولون "إذا عندك حاجة عند الكلب قل له يا سيدي"، فيُسوّدون العسكر وهم كلاب لكن لأن لهم حاجة دفع خصومهم من الإسلاميين وغيرهم.

قد تحدّثنا كثيراً عن نقد عقيدة طاعة ولي الأمر التي هي قلب الجسم المَلَكي في الأمّة والعائق الأكبر لتحرر الأمّة وظهور سلطانها. وأما العسكر فلا يوجد شيء ليُنقَد فيهم إذ لا عقول لهم ولا أرواح يعتمدون عليها، وإنما هم ملاحدة وأوباش لديهم تنظيم داخلي وسلاح، وأصل فكرتهم أجنبية عن أمّتنا فكراً وروحاً وتاريخاً، فلا يمكن أن ترسخ جذور نظام عسكري في الأمّة ولابد من زوال صورتهم وفروعهم عاجلاً أم آجلاً. الخطر الأكبر والأعمق هو خطر الحزب

الثالث، الحزب الإسلامي. داخل هذا الحزب فرق كثيرة، سننظر هنا إن شاء الله في بعضها. فتعالوا ننظر في هذه الفرق الثلاث : المشيخة السلبية، المنافقة العدوانية ، المنافقة التصويتية.

الفرقة الأولى: المشيخة السلبية. هي أخطر فرقة من حيث القول وأقلّها خطراً من حيث الفعل. لأنها تتكوّن من عدد هائل من الشيوخ التقليديين، في جميع البلاد، وتخاطب عموم المسلمين على اختلاف درجاتهم في العلم والثقافة والتدين، ووراءها ثقل الإسلام التقليدي والتاريخي وميراث الأمّة العلمي والمذهبي والصوفي. هذه الفرقة تعارض سلطان الأمّة وإحياء الفردية، فتنسف أساس القوة السياسية والقوة الروحية للإنسان المسلم. ولها على ذلك حجج أهمّها وأقواها من حيث تأثيرها على عموم المسلمين هي الحجّة التالية "الديمقراطية حكم الناس، الإسلام حكم الله، فالديمقراطية تتعارض مع الإسلام جوهرياً. ففي الديمقراطية قد يصوّت الناس لجعل الحرام حلالاً، والحلال حراماً، وهذا كفر. بالتالي الديمقراطية تؤدي إلى الكفر. " هذه الحجّة على بساطتها لها تأثير هائل على عموم المسلمين. ولا يكاد يوجد شيء يمنع تجذّر الفكرة الديمقراطية في قلوب عامّة المسلمين مثل هذه الحجّة. هذا بالرغم من أنّها حجّة ليست فقط غبية، بل تخالف كلام الله ورسوله أيضاً، ومستواها من الواقعية كمستوى أضغاث الأحلام. كيف؟

أوّلاً، (الديمقراطية حكم الناس)، لا يوجد شيء في الأرض إلا وهو حكم الناس. حتى حكم الفقهاء الإسلاميين هو حكم الناس، حكم الطغاة من الملوك والعسكر والأمراء والخلفاء وسمّهم ما شئت هو أيضاً حكم الناس. فهنا مغالطة شنيعة وهي مغالطة على مستوى الوهم واللاشعور فقط، وكأنه يوجد أمامنا اختيار بين اختيار حكم الله وحكم الناس ونحن باختيارنا الديمقراطية نختار حكم الناس على حكم الله. لكن نفس هذا السخف يكشف عن تدرّع بعض الناس (الفقهاء، الأمراء) باسم الله، وكأنهم هم الله في الأرض. ثم إن الديمقراطية تتعلّق فقط بالنظام السياسي، فكل أبواب الفقه الإسلامي والتصوف وغيره من أبعاد الدين لا علاقة لها بالديمقراطية. ثم الديمقراطية مبنية على اختيار الناس، وحتى في الفقه الإسلامي يوجد اختيار للناس، فالإنسان يختار المذهب الذي يريد أن يتبعه، وفي حال تعددت الآراء في مذهب واحد يختار الرأي الذي يريد أن يتبعه، ويستطيع أن يغيّر مذهبه، ويستطيع أن يجتهد ويختار لنفسه مذهباً في الأصول والفروع مخالفاً لما عليه الجمهور (على فرض وجود "جمهور" أيا كان تعريفه). الذي يغيّبه هؤلاء المشايخ حين ينقدون الديمقراطية هو مدى "الديمقراطية" داخل الإسلام والفقه الإسلامي ذاته، أصولاً وفروعاً، وكما هو ممارس من هؤلاء المشايخ أنفسهم. لذلك حتى المذاهب ذاتها مُسمّاة بأسماء ناس، ناس لم يذكرهم لا الله ولا رسوله لا في حديث

صحيح ولا حتى مكذوب موضوع، حنبلي، حنفي، شافعي، جعفري، وهلمّ جرّاً، وفي الأصول أشعري وماتريدي، وفي التصوف شاذلي وقادري، وقس على ذلك. فلا يوجد في الأرض إلا حكم الناس. هذه هي الحقيقة الواقعية المعقولة والملموسة.

ثانياً، (الإسلام حكم الله)، قد عرفنا مدى المغالطة باستعمال هذه العبارة، فهي في أحسن الأحوال كلمة حق يراد بها باطل. يقال "نريد تحكيم الشريعة"، وكأن الشريعة قرار، بينما الحق أن الشريعة حوار. نعم، الشريعة ليست بقرار لكنها حوار. مسألة تُطرَح، فحوار يُفتَح، فآراء تُمنَح، ثم يختار كل واحد منها ما له صدره يُشرَح. أحياناً، يُطرَح سؤال واحد فيخرج الفقهاء بأربعين جواب. ثم حتى تعيين مَن هم "الفقهاء" مبني على اختيار وحكم الناس، وليس الله هو الذي يحدد لنا مَن هو الفقيه ومَن ليس بفقيه. وإن قيل "لكن توجد ضوابط للاجتهاد"، فنقول حتى هذه الضوابط موضوعة باجتهاد من أُناس. لا مفرّ من هذا. ناس لم يختارهم الله يضعون ضوابط الاجتهاد ل"استنباط" حكم الله، وقبل ذلك مَن هو الناظر الذي يستحق أن ينظر في المصادر والأصول. لا يوجد طريق لتأسيس كهنوت إسلامي، مهما داعب ذلك خيال المشايخ، وتسمع منهم كثيراً "فلان غير مؤهل، أنا متخصص ولكن فلان غير متخصص" ونحو ذلك وكأنه يوجد كهنوت إسلامي ولا يمكن أن يوجد، وهم يعرفون أنهم يستطيعون الاستطالة على بعض مَن لم يدرس في جامعاتهم ومعاهدهم لكنهم لا يستطيعون الاستطالة بهذه الحجّة حين يأتيهم شيخ من مذهب آخر قد درس أيضاً لأربعين سنة ألفية فلان ومتن علان. كل حديث عن ضوابط الاجتهاد، وتعريف المجتهد والشيخ، كلها محاولات يائسة لا رسوخ لها في الأمّة لصنع كنيسة إسلامية ولا كنيسة في الإسلام ولا يمكن أن توجد. فلا يوجد إنسان مسلم لا شرقاً ولا غرباً، درس لأربعين سنة أو لأربع دقائق، يستطيع أن يقول "هذا حكم الله" ويضعه في وجه الأمّة كلها ويفرضه عليها بأي شرعية. الإسلام قائم على فردية شديدة لا يمكن تغييرها، وكلامي ليس فقط من الواقع وهو كذلك لكن أيضاً من صلب روح الدين، ويشهد لذلك الواقع كله والتاريخ كله، وحتى مَن ينكره يشهد له. حين تختار فقيهاً كممثل لحكم الله، فأنت قد اخترت، فهو اختيارك أنت، وهذا الفقيه هو ممثّل اختيارك، بالتالي هي عملية "ديمقراطية". فبدلاً من اللف والدوران، لنختصر الطريق ونعترف بالجذر الراسخ في الأمّة الذي هو الديمقراطية في التدين ونبني بوعي كل أمورنا عليه لكن هذه المرّة بنظام وترتيب بدلاً من الديمقراطية الفوضوية التي هي الواقع الحالي للتدين الإسلامي. نحن في الواقع لا ندعو إلى ديمقراطية حيث لا ديمقراطية، لكننا ندعو إلى الانتقال من الواقع الديمقراطي إلى واقع ديمقراطي أفضل، أقصد من الديمقراطية الفوضوية إلى الديمقراطية الإجرائية. وجود ترتيب

وإجراءات ونظام وتوقع هو أمر من روح الدين وتشهد له نصوص كثيرة، أقصد من حيث المبدأ. فلا يوجد ما يمنع من ذلك لا نصّاً ولا روحاً.

ثالثاً، (ففي الديمقراطية قد يصوّت الناس لجعل الحرام حلالاً، والحلال حراماً، وهذا كفر). هذه الخدعة الكبرى التي لا يفتأ الكثير من المشايخ يكررها. من جهة، الديمقراطية لا تجعل الحرام حلالاً، لكنها تجعل الأمر قانونياً فقط. القانوني لا يتساوى مع الحلال. القانوني يعني لن تتدخّل الدولة في منعه، لكن الحلال هو الذي لن يعاقبك الله على فعله. كثير من الأمور الآن وفي جميع الدول بلا استثناء وعبر التاريخ كله هي أمور قانونية لكن إن فعلتها قد يعاقبك الله، مثل الغيبة والنميمة وقول أفّ لوالدك العجوز. والعكس صحيح، قد يكون غير قانوني ومع ذلك إن فعلته لا شيء عليك عند الله. هذا أمر. لكن من جهة أخرى، وهو الأهمّ والأكبر، هو أن المشايخ ينسون قول النبي ووعده "لا تجتمع أمّتي على ضلالة"، بناء على هذا القول يجب أن تكون أمّتنا هي أشدّ الأمم رسوخاً في الديمقراطية، بل لا أعرف أمّة تستطيع أن تثق بالعملية الديمقراطية كما ينبغي لأمّتنا أن تثق بها بناء على وعد النبي هذا وإيمانها به. فالنبي ضمن الأمّة، بالتالي الثقة بالأمّة من صلب الإيمان بالنبي والإسلام. "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن"، و "أنتم شهداء الله في الأرض"، فحتى من الناحية الدينية توجد ثقة برؤية المسلمين في حال خلت رؤيتهم عن الإكراه الذي قد يجعل بعضهم يقول حتى كلمة الكفر كما بيّن القرءان، فإن أزلنا الإكراه وصفت النفوس بالأمن حينها نستطيع أن نثق بأثر اختيار الأمّة لكن بشرط أن يكون الاختيار اختيار الأمّة وليس بعض الأمّة، لأن النبي قال "لا تجتمع أمّتي على ضلالة" فالكلام عن "أمّتي" وليس بعض أمّتي أو علماء أمّتي. من جهة ثالثة، وجود احتمالية سلبية لأمر لا يعني رفض الأمر ذاته، بل حتى المشايخ هؤلاء لا يقومون بذلك لأنهم يعلمون أن الطاغية والعوائل الحاكمة التي طالما دعموها أو سكتوا عنها كانت ولا زالت تقوم بالكثير من المظالم وليس فقط على سبيل الاحتمال النظري بل على سبيل العادة التاريخية الغالبة والمتوقعة بل الصفة الجوهرية للأنظمة الطاغية هذه كلها، ومع ذلك يدعمونها. من جهة رابعة، نحن نعلم أن المسلمين بشكل عام لا يمكن أن يصوتوا في أي بلد بأغلبيتهم لأمر ظاهر الحرمة ومعلوم لهم من دينهم بالشهرة الضرورية، مثلاً لنقل تحليل الزنا أو الخمر، بل إن جمعنا جميع مدمني الخمر في الأمّة وجعلناهم يصوتوا على تحليل الخمر فإني أراهن على أن أكثرهم سيصوت لتحريم الخمر إرضاء لضميره الديني وسيذهب بعد التصويت لتعاطي الخمر. هؤلاء المشايخ يضربون مثال الخمر والزنا لكن الواقع أنهم لا يريدون اختيار الأمّة وسلطان العامّة لأنهم لا هم ولا الطغاة الذين اعتادوا نيل دعمهم سوف تبقى لهم سلطة وثروة منهوبة في حال صارت السلطة للأمّة، فيخوفون العامّة بالخمر والزنا واللواط ونحو ذلك

ويلعبون على هذا الوتر فقط لأنه وتر يرنّ صوته في أعماق العامّة، لكن ليس هذا ما يهتمّون به حقاً. هؤلاء المشايخ يريدون سلطة أن يقولوا ما يشاؤون بدون الحاجة إلى الدخول في منافسة مفتوحة مع المشايخ المختلفين عنهم أو النزول في ساحة إقناع العامّة بوجهة نظرهم، وكلا الأمرين سيخسرونه فور صيرورة الديمقراطية النظام العام للأمّة، أيا كان الاسم لكننا نذكر الاسم المعروف في العلم السياسي الشائع.

الفرقة الثانية: المنافقة العدوانية. هم الذين يريدون استعمال العنف لقهر الناس على الخضوع لنظامهم الإسلامي الخاص بهم. هذه الفئة لن تفلح في إقامة شيء بشكل عام، إلا إن تحوّلت إلى الحزب الملكي أو العسكري، لأن الأمّة بشكل عام تكره هذه الفئة المكونة عموماً من سلفية منحطين وجهلة لا روح لهم وأشبه ما يكونون ملاحدة شياطين في إبليس من أنفاس الإسلام أكثر مما في قلوبهم النجسة. نعم، صوتهم عالي لأنهم يرتكبون العنف وفيهم نزعات حداثية قوية ومادية واستعمال للتقنية بنحو أحسن من غيرهم، ويختزلون الدين والتعددية التي فيها إلى آراء مسطحة ساذجة تصلح للغبي من العامّة الذي يريد أن يشعر بأنه منتمي إلى شيء رباني في البيئة العلمانية المنفتحة. العمليات الإرهابية العدوانية في جميع البلاد يرجع معظمها إن لم يكن كلها بشكل أو بآخر إلى هذه الفئة أو مَن تعلّم من هذه الفئة وتأثر بها بدرجة أو بأخرى، مثلاً الشيعة الإمامية من أتباع ولاية الفقيه هم في الواقع ليسوا أكثر من تشيع تلوث بالسلفية، لكن شدّة تعلّق مؤسسي هذا الطريق بالفلسفة الإسلامية والتصوف حجَّم من أثر التلوث السلفي لكن في البُعد السياسي والحركي هم من آثار الطريقة السلفية من حيث أبعادها المادية الاختزالية والطغيان الديني والتوسّل بالإسلام واستعماله كأداة أيدلوجية على النمط الحداثي. إلا أنه من حسن عقل الإيرانيين مثلاً أنهم أخذوا بجوانب كثيرة من النظام الديمقراطي، وهذا بالإضافة إلى اهتماماتهم التقليدية بالفلسفة والتصوف والأبعاد الباطنية الموروثة في التشيع، مع التعددية الكامنة في الإيرانيين، جعلت النتيجة أقلّ كارثية مقارنة بطالبان مثلاً الذين يغلب عليهم الطابع القَبَلي المتخلّف المتعصّب العدواني. العظمة التقليدية والتاريخية لإيران هي التي أوجبت على الحركة الجديدة الخمينية ما صارت عليه من شيء من الاستقرار والقوة، وأما الحركة بحد ذاتها فعواملها المميزة لها بشكل عام هدّامة ومدمّرة سلبت التشيع قوّته الروحية ولوّثته بالحركية السلفية وعقليتها الإلحادية التي تستعمل تحريفاتها المتعمدة للإسلام كوسيلة للقوة السياسية الدنيوية.

الفرقة الثالثة : المنافقة التصويتية. هذه الفرقة تتضمّن طوائف مثل الإخوان المسلمين ومن دونهم ممن يشبههم في تنظيمهم لكن الإخوان أعلى هذه الطوائف من حيث استعمال النظام السياسي الديمقراطي كوسيلة لتحصيل القوة السياسية لفرض برنامجهم الذي هو نفس البرنامج الذي تعبّر عنه بقية الأحزاب لكن الوسيلة فقط هي المختلفة. الإخوان لا يبالون بغير أنفسهم، ولا يريدون السلطة إلا لهم. فهم في أحسن الأحوال مثل هتلر الذي أراد استعمال الديمقراطية لتقويض الديمقراطية. إلا أن تجربتهم في مصر كشفت عن أمر مهم وهو أن قوّتهم لن تكون إلا حين لا تكون لديهم أي قوة. بمعنى أن قوتهم في نفوس الناس إنما هي قوة خيالية، حين يتخيّل الناس الحكم الإسلامي الذي يسحرهم به الإخوان قد يصبح لهم أتباع متحمسون، وأما على مستوى النظرية السياسية فهم مفلسون وعلى مستوى التطبيق هم أفلس من المفلسين، ويستحيل على الأمّة أن تقبل بهم، وأحسن ما يرجونه هو حكم لبضعة سنوات بعدها سينفض الناس أيديهم منهم ويلعنونهم لأنه لا يوجد لديهم ولا يمكن أن يوجد إلا بعض الأتباع المفلسين روحياً وعقلياً والذين لا جذور لهم في الدين الإلهي، ولا فيهم روح الإسلام ولا عقل الغرب، بل هم خليط ممسوخ من قشور الطرفين. إن كان هذا حال الإخوان، فقل ما تشاء بعد ذلك عن مَن دونهم. دعاوى هذه الفرقة لا تتجاوز الشعارات، والشعارات جذابة على المستوى السياسي التصويتي، لكن من الناحية الواقعية وبمجرّد ما يتم تقشير سطوح الشعار سيتبيّن الهراء الذي يقوم عليه الأمر كله. أذكر أني قرأت "معالم في الطريق" ومن أول فصوله التي يؤسس لها لرؤيته قلت في نفسي "هذا كتاب ممتاز للإلحاد". ولعلي أكتب مقالة في هذا الموضوع إن شاء الله لاحقاً وأضرب أمثلة على ذلك. لكن بشكل عام قد يوجد مَن سيصوّت لأي شيء إسلامي، والإخوان هم أحسن مَن سيصوت لهم الناس حالياً كإسلاميين من حيث كونهم جماعة منظمة وليس لأن لديهم أي محتوى لا ديني ولا روحي ولا سياسي يمكن أن يوجد أي شيء له قيمة غير النصب باسم الدين والنهب لصالح الجماعة. عدم أهليتهم الفاحشة للحكم تبيّنت بمجرّد ما نالوا سلطة مصر التي لطالما سعوا لها، وانحطاط روح البلد الذي يحكمونه ستتبيّن فوراً بمجرّد ما ينالوا السلطة في أي مكان، ولا يمكن أن يكونوا إلا طغاة في نهاية المطاف لأن كل نماذجهم التي يعظّمونها هي نماذج طغاة عبر التاريخ الإسلامي، وأما من الفكر الغربي الديمقراطي فلم يأخذوا منه جوهراً، فما الذي يمكن أن ينتج غير الطغيان الممسوخ والذي ليس له حتى بريق طغيان الملوك الإسلاميين على سفالتهم وإجرامهم.

الحاصل: في كل هذه الأحزاب والفرق والطوائف، نجد أن أخطر فرقة هي فرقة المشايخ السلبيين. الذين يسحرون عقول عامّة المسلمين بالأفكار المناوئة للديمقراطية. ومن هذا الخلل الأساسي تنبع كل أعمال الفرق الأخرى التي تسعى للطغيان على هذه الأمّة التي رضيت بالطغيان كمصير حتمي لها لا تريد مفارقته خوفاً من الوقوع في "حكم الناس" بدلاً من "حكم الله". "حكم الله" الذي يسعون له لم ينتج لهم على مر التاريخ إلا حكم الطغاة. فالأمّة نظرياً مخيرة بين حكم الله وحكم الناس، لكن عملياً مخيرة بين حكم العامّة وحكم الطغاة. وبسبب المشايخ التقليديين والمنافقين، لا زالت الأمّة ترزح تحت حكم الطغاة نظرياً وعملياً. بسبب رفض سلطان العامّة وقيمة الفردية، صارت الأمّة قطيع غنم يبحث عن راعي يتحكم به. والمنافسة ما بين الأحزاب الملكية والعسكرية والحركية إنما هي منافسة بين الرعاة، والغنم لهم العصا.

...

الوعي عدم ووجود. عدمه أصل، وجوده فرع ليس باختياره. فالوعي يقظة بدون اختيار، مراقبة بحتة. فلولا الوعي لما عرفنا الفرق بين العدم والوجود. بالتالي أول معروف هو الوعي وليس الوجود. وعليه، كل تعاملنا مع الوجود وفي الوجود مُقيَّد بوعينا، أي وعيك نقطة المركز والوجود هو المحيط حولك، وأفعال وعيك كالإرادة والفكر والشعور والخيال والحواس هي الصراطات المستقيمة الخارجة من نقطة المركز إلى نقاط المحيط. الوعي لا ينبسط وينقبض في ذاته، لكنه يدور ما بين العدم والوجود ثم حين يوجد يدور ما بين الكمون والإشعاع عبر الأفعال الخمسة بألوانها. الكمون يرمز للعدم، والفعل يرمز للوجود. الكمون ينكشف بالتأمل، والفعل بالتعقّل لأنك تعقل وتربط وعيك بموجود ما عبر فعلك. حول الوعي توجد النفس، النفس تتكون بالأفعال ونوعيتها. فالوعي لب والنفس قشرها.

معرفة الله تكون بمعرفة أنه الخالق حين تنظر في وعيك ونفسك، وبأنه المُحيي والمميت حين ترى تقلب وعيك بين العدم الوجود، وبأنه الواحد حين تنظر في وحدتك الذاتية، وبأن له الأسماء الحسنى حين تنظر في أفعالك الخمسة وآثارها.

الكمون في وعيك هو الخلوة، والنظر في وعيك تأمل، وفي جوهر إرادتك هو الذكر، وفي عقلك هو الفكر. هذه الأربعة وجودية. ثم حين تتجلى هذه الأربعة بالكلمة هي الكتابة، وحين تسعى للتواصل عن بُعد مع وعي غيرك هي القراءة، وحين تريد تجلي خاص في الوجود يتناسب مع إرادتك وفكرك هو الدعاء، وحين تسعى للتواصل عن قُرب مع وعي غيرك هو المجلس. فهذه الأربعة إيجادية. فيتوازن حالك ما بين الوجود والإيجاد.

...

في البداية لم تكن هناك بداية،
كان النور المطلق في كل مكان،
ثم تنفّس فخرجت الحروف،
سبحت الحروف في الفراغ،
وبحثت عن بعضها البعض،
حتى تواصلت واجتمعت،
فتكونت منها الأسماء،
وكل اسم كان سحابة،
داخل كل سحابة مطر لانهائي،
ثم أمطرت السحب بما فيها،
فنبتت أشجار كثيرة،
على كل شجرة طيور من كل لون،
كل طير يغني بحسب لونه،
ومن أغانيهم تكونت العوالم،
داخل العوالم خُلقنا نحن،
وداخلنا ذرة من النور المطلق،
وكلما تنفسّنا أعدنا صورة التكوين.

...

العُمر: عدد أنفاس مُقدَّرة، مَن قضاها بصبر فلم يستعجل قطعها، وَجلّاها بذِكر فنوى تكوين اسمه تعالى بها، فاز فوز الأبد في رحمة الواحد الأحد.

...

ألم الجسم يُشتت قدرة العقل على تكوين الأفكار، لهذا الألم شر. العقل حر من الجسم حين يكون الجسم في أمن وراحة من دافع الشهوة. ودليل حسن حياتك الجسمانية هو حسن حركتك العقلية. فلولا الحياة العقلية لما كان لآلام الجسم أي معنى خاص لدفعها. لذلك تُستباح أجسام العوام في مختلف الأزمنة والأمكنة، بحجة أنهم لا عقول لهم تستحق الدفاع عنها. ومن هنا يستبيح الناس إيلام وقتل الحيوانات، لكن بعدها يتم الحكم على العوام بأنهم مثل الحيوانات فيُستباحون بدورهم. ذو العقل يستحق تسخير الطبيعة ومن فيها له، وإيذاء مثله جريمة كبرى لأن العقل روح الطبيعة وهي جسمه الخادم له.

...

الناس ثلاثة: ولي ومَن يعرف الولي ومَن لا يعرف ولياً.
أما الولي فعليه الذكر والصبر ما دام حياً،
وأما مَن يعرف الولي فهو سعيد إن خدمه بحب وإيمان وهو شقي إن كفره وآذاه،
وأما مَن لا هو ولي ولا يعرف ولياً فهو هباء منثور حياته مثل عدمها بل لعل عدمها أفضل له.

...

لله صمت وكلام. فصمته يتجلى في الطبيعة، وكلامه يتجلى في القرءان. والصمت باب الذات، والكلام باب العلم. فمن أراد شهود ذات الحق فلينظر في الطبيعة، ومن أراد شهود علم الحق فليقرأ القرءان.

...

صاحب العقيدة شيطان لا يستطيع أن يقرأ القرءان. وحتى حين يتلوه فإنه لا يرى إلا صنم عقيدته في جميع آياته.

...

من علامة خلل العقل وجود الملل من أهل العقل بسبب طول مدة معاشرتهم. ولو كان سليم العقل لعرف أن الظفر بواحد من أهل العقل الإلهي خير من الدنيا وما ومَن فيها.

...

التدين ميت، وحياته التضحية بالناس والفلوس والحواس في سبيل الحفاظ على قداسة (أي حرية) الذكر والفكر وكرامة (أي حرية وفردية) النفس.

...

وجود مَلِك (أو ما يشبهه) في أي مجتمع كافي لتنجيس وتلويث كل النفوس بل والأنفاس والجو نفسه في ذلك البلد. يستحيل أن تسلم عقول ونفوس أتباع الملكيات، ولو كانوا أعلى الناس في الولاية فلابد من أن تصيبهم تلك النجاسة وشيء من أثر النذالة. يظن البعض أن الملوك يوجدون فقط بالعنف الخارجي، باطل، بالأمس وجدت شخصاً (لا أسميه رجلاً) آسيوياً (في أمريكا) يضع صورة ملكه الميت في مطعمه في مقام تعظيم، فمَن أجبر هذا على هذا؟ أجبره ضميره الخبيث المعتاد العبودية، وفعلاً حتى قبل أن أرى هذه الخسة رأيت في تعامله أنا ومن معي نوع من النذالة والعجلة، وتبين سرّها بعد ذلك. الملكية وثنية وعبادة عجل، أناس يستعجلون ظهور الملك الحق الذي هو الله فيصنعونه بشكل محسوس، لذلك لابد أن يكونوا أنذالاً وأنجاساً بالضرورة وإن شرحوا بذلك صدراً فهم كفار حتماً. نسف الملكية نسف للعجل والوثنية، وبداية النسف يكون من النفس. فإن الوثنية تبدأ داخل النفس.

...

الماضي لا يفعل شيئاً. كل أثر الآن سببه موجود فعال الآن. وتعظيم الماضي كوسيلة لكشف أسباب الآثار الحاضرة إنما هو وسيلة تضليل عن الأسباب الفعالة الحاضرة والحالية. يضلل بعض الناس بعضهم وبعضهم يضلل نفسه لأنه جبان أو جاهل أو كلاهما ولا يريد أن يواجه الأسباب الحاضرة بقوة وجرأة فيخترع أشباحاً ماضية لتفسّر له بزعمه ما يحدث اليوم. الحاضر وجود والماضي عدم والعدم لا يفعل في الوجود. فانظر الآن واعرف ما هو واقع الآن بالأسباب الحاضرة الآن.

...
المستنير يرى النور أو ذرة من النور حتى في أهل الظلمات. لكن أهل الظلمات لا يعترفون بالنور إلا ضمن عصابتهم وعصبيتهم. لذلك على أهل التنوير عدم المبالغة في حسن الظن بأهل الظلمات، ولا يراعوا فيهم القليل من النور العَرضي، بل ليحكموا عليهم بالغالب والأكثر، ثم لا يسعوا ليستفيدوا منهم بل ليقيموا أمرهم باستقلال عن كل فئة فضّلت الظلمات على النور والتحزب على حرية القلب والتقلّب.
تنبيه: أهل الظلمات كل إنسان يختار أو يبقى داخل أي مؤسسة عقائدية دينية أو دنيوية، ويتعصب لأعضائها ولا يبالي بمن هو خارجها، فقط لأنه يرى عقيدته الجزئية الظنية بل الوهمية هي الحقيقة المطلقة وليس له حتى الجرأة على مواجهة ردود غيره عليه فضلاً عن حسن فهمها والتعامل معها.

...
المسلمون عموماً لا يعرفون دين محمد، لكنهم يعتقدون بدين قريش. نفس الكفار الذين حاربوا النبي هم الذين لما رأوا هزيمتهم قرروا الدخول صورياً في دين النبي ثم أعادوا تشكيله قلباً وقالباً بحيث يتناسب مع أغراضهم. طريقة تفكير أكثر المسلمين اليوم لا علاقة لها من قريب أو من بعيد بالقرءان والروح القرءانية، لكنها تتطابق تماماً مع العقلية الوثنية المكية، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعا.

...
بعض الأمور لا تعرف قيمتها حقاً إلا بعد أن تفقدها. ولا أقصد أنك ستراها ذات قيمة حسنة بل أقصد لن تعرف أنها كانت منحطة ولعينة إلا بعد فقدانها والانفصال عنها. من ذلك مثلاً أن تعيش في مكان تتدخل فيه الدولة في عقول وضمائر الناس وتعبيرهم عنها بالقول والفعل الخاص. كنت أعرف أنها حالة لعينة، لكن بعدما انفصلت عنها تبيّن لي أنها ألعن مما كنت أتصور وأشعر بكثير، بكثير جداً. صرت أرى حقيقة حالنا من قبل، وصورتنا الحقيقية تبينت لي بوضوح. الصورة هذه: مجموعة من كلاب النار، متسخة ومهلوكة وعرقانة، لكنها تتبسم أمام

حامل العظم لكي تنال إعجابه ويلقي لها عظمة. وضع مقرف ومثير للاشمئزاز إلى أبعد حد. لا أقول "وضع غير إنساني"، لأن هذا تعبير ضعيف جداً عن حقيقة الحال. الوضع أسوأ بكثير من أن يُسمى "غير إنساني". كنت أستغرب أحياناً من نفسي حين كنت أشمئز وأغضب من الحال حين كنت فيه، لكن الآن تبين لي أن ردة فعلي حينها كانت أقل بكثير مما يستحقه، بل كنت صبوراً حليماً مقارنة بما يمكن أن يصدر مني الآن لو والعياذ بالله رجعت إلى مثل ذلك الحال، بل الموت أحلى من ذلك بكثير. العدو تبين أيضاً، وهو كل عمّال تلك الدولة وكل الشيوخ الذين كانوا ولا زالوا يبررون ذلك وكل أفراد العامة الذين يدافعون عنهم ويعتقدون بأنهم في حال "يُحسدون" عليها! نعم يوجد من يعتقد بأن ذلك الحال اللعين هو شيء يحسده عليه الآخرون. الحق يُقال، فعلاً يوجد من يحسدهم وهم إخوانهم الذين سبقوهم إلى جهنم الكبرى فهؤلاء يتمنون لو يعودوا لكي يتبرأوا مما كانوا فيه وممن كانوا يخضعون لهم ويتخذونهم أرباباً. لكن باقي الناس ممن يعرف شيئاً ويستحق أن يكون إنساناً فلا يملكون إلا الشفقة أو الازدراء لكل مَن يرضى أن يكون داخل عقله تعظيم تبجيلي أو رعب بهيمي من أي إنسان آخر خصوصاً إن كان سياسياً. العدو الأكبر هم الشيوخ وأشباه المثقفين الموظفين عند الدولة أو من يتقربون لها بخداع الناس وسحر أعين عقولهم واسترهابهم. هؤلاء يشلّون الأرواح ويطمسون الأعين حتى لا ترى الأمور بوضوح بل حتى لا تراها أصلاً. اعرف هذا يا مَن تعيش في دولة ملكية أو عسكرية : خوفك وهم، اعتقادك كذب، دينك دجل، دولتك عدوك، قيمتك صفر، رعبك من التغيير خرافة سيتبين لك حقيقتها بمجرد ما تخرق حجاب الرعب الشفاف.

...

(بداية سورة القمر ١)

(اقتربت الساعة) غيب،

(وانشق القمر) شهادة.

الساعة قيام الروح وظهور أثره في العالم، فإذا ظهر انقلبت أحوال الذهنية الدنيوية في العيش، لذلك "انشق القمر" القمر هو الذهن الذي يعكس ضوء الروح في ليل الدنيويين وزمان الجاهلية، لابد أن ينشق قمر الذهن من شدة فيض وتفجير عين الروح بالعلم الكشفي الشهودي. لذلك قال بعدها مُبيناً ظهور أثر العلم الروحي فقال...

(وإن يروا ءاية) يعني أهل الدنيا والذهن المادي حين يروا الآية التي هي لسان الروح في تعبيره عن حقائقه التجريدية بلسان الأمثال الآفاقية والأنفسية،

(يُعرضوا) كالذين لا يدرسون القرءان،

(ويقولوا سحر مستمر) يعني الآية ليست أمثال لحق متعالي بل هي خيال لكذب وهمي، كالذين يقولون عن قصص القرءان أساطير تاريخية.

(وكذبوا) بحقائق الوحي لأنهم لم يروا آياته كأمثال،
(واتبعوا أهواءهم) في كيفية قراءة القرءان وفي الميل للرؤية المادية للوجود والكلام،
(وكل أمر مستقر) أي الحقيقة القرءانية لا تتغير بسبب تكذيب المكذبين بها، فالوجود موجود ولو أنكره المنكرون.

(ولقد جاءهم) عبر الرسل في كل زمان،
(من الأنباء) التي تكشف أسماء كل النفوس والسنن المتعلقة بها بلسان الأمثال،
(ما فيه) في باطنه لو قشروه وعقلوه،
(مُزدجر) ينهاهم عن إنكار أمثال القرءان وينهاهم عن النمط الدنيوي المادي في العيش.

(حكمة) علم وعمل في الوحي،
(بالغة) علمه حق وعمله نفع أبدي،
(فما تُغنِ النُّذر) يعني البشر، فالذي لا ينتفع بالكلام الموجود في كتاب كيف سينتفع بالكلام الصادر من إنسان، فمن لم يغنيه القرءان لن يغنيه إنسان. لذلك قال بعدها مخاطباً الإنسان الرباني...

(فتولَّ عنهم) إن أعرضوا عن كلامك وكتابك فلا تهتم بهم، لكن إلى متى تبقى متولياً عنهم؟ الجواب، إلى أن يأتي (يوم يدعُ الداعِ إلى شيء نُكر) داعي البعث والحساب. فمن لم يعقل اليوم طوعاً سيعلم غداً كرهاً حين لا ينفعه العلم.
(خُشَّعاً أبصارهم) كما لم ينظروا في روح القرءان اليوم فلن يطيقوا النظر في حقيقة القيامة والتجلي غداً، فباطن القرءان هو القيامة والتجلي الرباني لمن يبصر،
(يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) كما كانوا في قبور أجسامهم محبوسين في حواسهم فلم يخرجوا منها ويتجردوا ليروا حقيقة الأنباء، بينما أهل القرءان هم الذين خرجوا اليوم وأبصروا الحقيقة المُجرّدة.

(مُهطعين إلى الداعِ) أعرضوا عن داعي زمانهم من الناس فجاءهم داعي ربهم بالجبر غداً، فمن ذهب طوعاً إلى داعي القيامة الروحية في زمانه لن يجد مثل هذه الحالة المذلة غداً،

(يقول الكافرون هذا يوم عسر) معيشتهم ضنكاً وقيامتهم عسر لأنهم كفروا باطن القرءان، بينما أهل تعقل القرءان سيكون عيشهم طيب وبعثهم يُسر. فمن لم يشهد باطن القرءان أمره كله عسر في عسر.

...

(تكملة سورة القمر ٢)

(كذبت قبلهم قوم نوح) فهم مظهر سُنة وليسوا بدعة،

(فكذبوا عبدنا) يتشوش الروح برؤية ما يضاده،

(وقالوا مجنون) بسبب مقالاته العقلية عن الوجود،

(وازدُجِر) بسبب سلوكه الإرادي في الإيجاد.

(فدعا) الروح فقيرة إلى الله فلا تفعل إلا بوسيلة الدعاء،

(ربه) الذي يتجلى بكل شيء له فلما رأى التكذيب اعتبره ثنائية في الوجود إذ اختلف ما يشهده بباطنه عن ما يشهده من تكذيب قومه في ظاهره فأراد توحيد المشهدين،

(أني) من حيث ذاتي،

(مغلوب) بالعقول والإرادات المضادة لي وهم قومي،

(فانتصر) حتى لا أرى غيراً لي يضادني وتظهر الحقائق التي كشفتها لي.

(ففتحنا) فالدعاء مفتاح العطاء،

(أبواب السماء بماء منهمر) سماء العقل بالفكر الصادق المُثبت لحقائق الوحي الروحي.

(وفجّرنا) فالدعاء وسيلة التفجير للتنوير،

(الأرض عيوناً) أرض الجسم بالخيال والمحسوسات المُصَدِّقة لمعاني الروح،

(فالتقى الماء) من سماء العقل وأرض الجسم في برزخ النفس واتحد الظاهر بالباطن،

(على أمر قد قُدر) أمر الروح "الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم"، فجعل الله الكون كتاباً يعرض كلمات نوح التي كذب بها قومه، وهو من قبيل "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"، فأبواب سماء الآفاق وعين أرض الأنفس يخرج منها ماء الصور الوجودية لتبيين الحق في قول رسل الروح القدسية والرسالة القرءانية.

(وحملناه على ذات ألواح ودُسر) الحقيقة تُهلك المكذب وتنجي المؤمن.

أدنى سبب ينجي الله به مَن آمن بالقلب بالذكر والفكر والإسلام قبل ظهور الحق بالقهر العام.

"كتبنا له في الألواح" مَن قرأ كتب الله في الأمن نجاه الله حين تقع الواقعة.
الألواح الكتب، والدُسُر الأعمال التي بدونها تكون الكلمات في عقلك منفصلة عن واقع نفسك.
الألواح العلوم الحقيقية والدسر الأوامر الشرعية. فالدين هو الذي عليه تُحمَل الروح في الدنيا.

(تجري بأعيننا) نظر نوح لعين ربه ورضاه وليس لعيون الناس ورضاهم،
(جزاءً) لنظره ذاك ومراعاته عين الله المراقبة له حتى إن كان الناس كلهم لا يبالون بالدين فجازاه الله بتيسير كل أموره وجعله في مقام خاص في عينه الرحيمة وعنايته الربانية الكونية،
(لمن كان كُفِر) ستره الناس بالإعراض عنه لأجل دعوته الدينية وأقواله الروحية، فرفعه الله فجعله في أعلى المقامات الإلهية العينية. مَن رضي بتغطية الجهلة له على كثرتهم أرضاه الله بمظاهر قدرته وألوان رحمته. فلا تجعل كفر الناس لك وبك سبباً لتغيير إيمانك وعملك.
الروح يكفرها الدنيويين لكن يتمنون الإيمان بها حين يرون كرامتها على الله بعد كشف غطاء الجسم ورفع حجاب الدنيا.

(ولقد تركناها آية) في القرءان،
(فهل من مُدَّكِر) يقرأ بلسانه ويتخيّل بوهمه ويعقل بقلبه مضمون الآية.

(فكيف) القرءان يكشف الكيفية والسمة، وليس كمية الحوادث ومتى وأين ونحو ذلك من الاعتبارات المتغيرة غير الجوهرية، المهم معرفة الكيفية لأنها تكشف السنّة الثابتة،
(كان) مثل "كان الله غفوراً" يعني حقيقة ثابتة،
(عذابي ونُذُرِ) لأنه "ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" فالعذاب ثمرة السُنّة، والنُذُر رسل تعليم السنة.

(ولقد يسّرنا) باللسان العربي والتأييد الروحي،
(القرءان) الذي هو النذير الأكبر والرسول الحي المستمر المعلم لكل السنن الإلهية المتعلقة بالنفس الإنسانية،
(للذكر) باللسان لحلاوته وبالعقل لبيانه ووضوحه وتأييد الله لقرائه من مريديه وللتذكر بالخاصية الروحية التي تتناسب مع روح الإنسان إذ الروح واحدة،
(فهل) دعوة طوعية بلا إكراه،
(مِن) عاقل،

(مُدَّكِر) يداوم على قراءة القرءان سراً وجهراً وفي الخلوة والعلانية ويتأمله بعين قلبه ويبحث في معانيه الروحية العقلية، حتى يعرف نفسه والسنن بكيفياتها وعواقبها فيختار الدخول في سنن الفائزين ويبتعد عن أعمال المجرمين فينجو في الدنيا بالمعرفة وفي الآخرة بالجنة وعند الله بالرضوان التام والمحبة.

...

قال الله لموسى (أسرِ بعبادي) يعني الخروج من مصر، لماذا؟ لأنه توجد احتمالات لا ينفع منها إلا الخروج.

الاحتمال الأول: البقاء كعبيد في مملكة فرعون. هذا لا يصلح لمن يريد أن يكون عبداً لله فقط بالتالي ملك نفسه كما قال موسى لبني إسرائيل بعد الخروج "وجعلكم ملوكاً".

الاحتمال الثاني: تغيير فرعون بثورة داخلية. لا ينفع، لأن أكثر الناس إما راضي قلبياً بالفرعنة وإما غير مستعد للتضحيات اللازمة للثورة فهو راضي من باب العجز بالفرعنة، وإما يخاف من فرعون أو إيمانه الديني يدعوه إلى الرضا بالفرعنة حتى مع إقراره بأنها ظلم سيء. "استخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين" ولم يقل قوماً مُكرَهين أو مُجبَرين، بل فسقهم جعلهم يرضون بحالة الاستعباد فلا معنى للثورة أو انتظارها أو العمل لها من الداخل إذن.

الاحتمال الثالث: الغزو الخارجي لتغيير فرعون. هذا مثل خروج النبي من المدينة إلى مكة ثم رجوعه إليها بأنصاره حرباً. لكن هذا الاحتمال على فرض نفعه يحتاج إلى الخروج أولاً بالتالي هو فرع للخروج.

الاحتمال الرابع: الدعاء من الداخل للتغيير. لا ينفع دعاء بدون عمل، وحتى دعاء الصالحين لا يُستجاب إذا كان حال الأكثرية يقتضي أمراً ما كما أخبرنا النبي. فالدعاء في هذه الحالة لغة العاجز الكسول وهو إهانة لشرف الدعاء وليس عبادة تستحق التقدير.

الاحتمال الخامس: العيش بحسب الإيمان في حالة الكهف والتخفي. هذا اختيار مناسب إن كان لا يوجد مكان في الأرض إلا وهو تحت الفرعنة والإكراه والاستعباد العام، لكن في قصة موسى دلهم الله على أرض مقدسة عن ذلك. كذلك التخفي بحد ذاته ألم شديد ومعاناة، والخروج أفضل من حيث إمكانية التأقلم. كذلك من لوازم الإيمان أمور تتعارض مع لوازم

الخضوع للفرعنة مثل تبيين البينات واستقامة الذات ونشر الكلمات والعمل ببعض الأحكام ورفض ربوبية الإنسان للإنسان.

فعلى ذلك، الأنسب بل الحل الوحيد هو ما قاله الله لموسى (أسرِ بعبادي).

...
توجد أمور تتعلق بذاتك أنت لن تختلف جوهرياً بغض النظر عن ظروفك الاجتماعية والاقتصادية. وتوجد أمور مهما كنت في ذاتك ستتغير غصباً عنك للتأقلم معها أو الانفعال لها. لابد من التمييز بين هذين الأمرين، الذاتي والخارجي، حتى لا توهم نفسك وحتى تعرف كيف تغيّر ما يحتاج إلى تغيير. لنضرب مثال.

سعادتك القلبية لا علاقة جوهرية لها لا بمجتمعك ولا بحالتك الاقتصادية. الدليل؟ لأننا نرى الإنسان في كل المجتمعات ومن جميع الطبقات يعيش في حالة سخط وكره للحياة وقد ينتحر يأساً. فلو كان تغيير مجتمعك حتى لو كان تغييراً للأفضل، أو تغيير ممتلكاتك ولو للأعلى، هو الحل الجوهري للسعادة فكيف ستفسّر وجود أحرار أثرياء ومع ذلك بعض بؤساء فقراء أفسد بقاع الأرض أكثر رضاً وضحكاً وتفاؤلاً وسعادةً منهم. هذا لا يعني أن المجتمع والمال لا علاقة لهم بالسعادة، طبعاً لا، لكن يعني أن جوهر السعادة لا علاقة له بالمجتمع والمال. لكن السعيد قد تقلّ سعادته بسبب المجتمع والمال، أو قد يُمنَع من تجلي بعض أنواع سعادته الكامنة بسبب قيود المجتمع والمال، فحينها ولمثل هذا يمكن السعي بعقل لتغيير المجتمع والمال. أما إنسان فارغ وكئيب ومنحط، يعيش في مجتمع عبيد، مثل هذا إذا أوهم نفسه أنه بتغيير مجتمعه سيصبح سعيداً فأمامه واقع سيصدمه وسيزيد من حِدّة كآبته ويُفجِّر يأسه. وقل مثل ذلك في المال. الحرية والثروة للسعيد مثل غسل الوجه والكحل للجميل، يُشرق به جماله الذاتي ويزداد به جمالاً.

فما هي أسباب السعادة الجوهرية؟ هي أعمال الطريقة الثمانية، بعضها أو كلها لمن أراد استكمال أركان السعادة الذاتية. إذا كانت حياتك تدور في فلك أعمال الطريقة الثمانية فستجد لب السعادة أينما كنت، وحينها سترى القيود الخارجية من مجتمع ومال على حقيقتها وستعرف بإذن الله كيف تتعامل معها. إن كان في عينك يوجد ما هو أهم وأعلى من أعمال الطريقة الثمانية، فأنت لا تزال في الظلمات ولم تخرج إلى النور بعد، فركّز على هذا الخروج

قبل التفكير في الخروج من البلد أو من الفقر، لأن بلد قلبك ظالمة فلن ينفعك تغيير البلاد وروحك مفتقرة فلن يزيدك المال إلا إمعاناً في الفساد. الطريقة أولاً.

...

من أخطاء الدعاة الجماهيريين (حسب تجربة لي بالأمس)

١-الحفظ بدون فهم.

٢-عدم التفكير بجدية فيما يجيبهم به محاورهم.

٣-عدم الاعتراف أو الاعتراف بسرعة حين يخطئون.

٤-إلقاء أفكار كثيرة مختلفة بغير ترابط واضح.

٥-افتراض أمور بغير حق عن محاورهم.

٦-عدم توجيه الكلام لذات محاورهم.

٧-تسخيف وتسطيح واختزال الدين، دينهم ودين غيرهم.

٨-شتم مخالفهم بغير واقعية ولا حياء.

٩-اتهام الغير بما فيهم مثله أو أشد منه، وعدم الاعتراف بما فيهم منه إما جهلاً وإما كذباً وعناداً لافتراض جهل المحاور بما فيهم من مثله أو ما هو أشد منه.

١٠-الكلام بغير حتى محاولة البرهنة وكأن السامع قابل ساذج.

١١-عدم التركيز الكامل على المحاور والحوار والعجلة.

١٢-ادعاء الفضيلة في الدعوة مع ممارسة الرذيلة.

١٣-شتم المحاور لأنه يجادل ويتمسك برأيه المعتبر.

١٤-التكفير على الرأي الغامض والمختلف فيه باعتبار.

١٥-عدم الجواب البسيط قبل التفصيل المعقّد.

١٦-عدم الجواب على سؤال المحاور ولو كان بسيطاً معقولاً واضحاً معتبراً لأنه يعتبر جوابه هذا هزيمة.

١٧-رفع الصوت في الحوار.

١٨-تحويل الحوار إلى جدال صراع غلبة.

١٩-إظهار الامتعاض من المحاور بالوجه والقول والجسم.

٢٠-فرض أمور على النص ليست في النص والتصرف كأنها في النص.

٢١-رضا المحاور بالتنقل بين المواضيع كلما هرب مجادله.

٢٢-المعارضة في التسمية بالرغم من الإقرار بالموافقة على المُسمَّى. أو عدم العمل بالقاعدة المعقولة "لا مُشاحّة في الاصطلاح" بشرط الاتفاق على المعنى المجرّد.

...
إذا كان أمامك اختياران، الأول أسهل والثاني أصعب، انظر أوّلاً في الأصعب لأنه المخالف للهوى والهوى هاوية فالأسلم افتراض أن الأصعب أفضل لكن هذا ليس ضرورياً وإنما هو افتراض أوّلي للنظر فيه وعدم الانصراف عنه لمجرّد صعوبته، بالإضافة إلى أن الأصعب عادةً يكون أكثر فائدة حين يتحقق من الأسهل وأيضاً هذه قاعدة عامّة أو فرضية أوّلية تنفع في النظر في الأمر وليست بحد ذاتها كافية كدليل على نفع النتيجة النهائية الواقعية.

...
الدولة لا تجعل الغبي ذكياً، لكنها تجعل الذكي يعمل بذكائه والقابل للذكاء يشتغل على تفعيل قابليته وتحقيق إمكانيته والذكي ليتفرغ بأمن ليُظهر ذكائه.

...
(يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)
قال النبي (من أمر ربي) ولم يقل "من أمر الله" كما في آية "يحفظونه من أمر الله" مثلاً. فالروح من أمر رب النبي، يعني هي أمر يصدر من نفس المصدر الذي صدر منه النبي فجعله نبياً، لذلك قال بعدها "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا"، فلما خاطب النبي قال له عن الروح "أمرنا"، لكن لما خاطب النبي الناس قال لهم عن الروح "أمر ربي". لأن الروح تصدر من الله إلى النبي ثم من النبي إلى الناس، فنحن نعرف الروح بوسيلة النبي لذلك أخذنا القرءان عن النبي.

...
الانتظار قد يكون عبادة وقد يكون جريمة.
العبادة حين تعمل ما عليك في أمر ما ولك مقصد مشروع فتنتظر وقوع أثر معين ليس بيدك جلبه بأكثر مما عملته، وعلامة هذا النوع من الانتظار أن تجد عدم الانتظار سيؤدي إلى ارتكابك معصية أو جريمة أو عملاً مُخلّاً بالكرامة والشرف. وعن هذا النوع ورد "انتظار الفرج عبادة".
الجريمة حين لا تعلم ما يجب عمله أو تعلم ولا تعمل به لكنك تنتظر تغيّر شيء بدون معرفة ما هو بالضبط أو لا يكون من الحق أصلاً انتظار هذا الشيء ليتغيّر. من هنا قيل مثلاً لبعض المتوفين "الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها". أو مثل أن ترى طفلاً يغرق في بحيرة وتقول "سأنتظر قدوم الإسعاف لأقفز لإنقاذه" فهذا انتظار يساوي قتل الطفل.
ليس كل صبر محمود، ولا كل انتظار مشكور.

...

من أهم أسباب السكينة: السكون والسكوت.
حركة الجسم فرع حركة الإرادة في النفس، فأصل السكون في النفس هو عدم إرادتك شيئاً، ويتفرع عنه سكون الجسم. أما الذي يجبر جسمه على السكون مع امتلاء نفسه بالرغبات والشهوات فهذا منافق، نفسه في جهة وجسمه في جهة مضادة.
حركة اللسان فرع حركة العقل في النفس، فأصل السكوت في النفس هو عدم تفكيرك بشيء، ويتفرع عنه سكوت اللسان. أما الذي يجبر لسانه على السكوت مع اضطراب عقله بالأفكار والتخيلات فهذا منافق، عقله ناطق ولسانه صامت يوهم مَن يراه بل يوهم نفسه بأنه من أصحاب صمت العقل.
السكون والسكوت، أصلاً وفرعاً، نفساً وجسماً، مجرد وسيلة لإعداد الروح للسكينة. لأن السكوت يجعل الروح تتكلم بدلاً من العقل، والسكون يجعل الروح تفعل بالهمّة بدلاً من الجسم. وحين تتصرف الروح ويصبح المُلك له فقد حلّت السكينة وأشرقت الأرض بنور ربها.
...
هذه الطرق الكبرى التي يسلكها الناس، فانظر أيها تسلك:
الأولى، إنسان معيشته غير مستقرة لأنه بلا بيت وبلا معاش كاف باعتدال، فهو مضطرب الذهن ومُستَهلَك البدن في ذلك طول عمره ولا يعرف غير التفكير في معيشته. هذا الإنسان يعيش في سجن الدنيا، في عنبر جهنم منها. علاجه: أولاً تقليل لوازمه المعيشية بأكبر قدر ممكن، ثانياً تنظيم وقته، ثالثاً العيش في بلد ذات اقتصاد محترم وسياسة مستقرة، وقبل كل ذلك أن يكون له مركز روحي.
الثانية، إنسان معيشته مستقرة ومعاشه منتظم ولو كان لا يفيض منه شيء ولا بذخ عنده لكنه يقضي وقته في التفكير في معيشته وزيادة ماله على حساب ما هو أولى، فهذا إنسان كالكلب يلحق ذيله، ويُشقي نفسه كمجنون يحرق جسمه بيده. علاجه: عدم التفكير في المال والاشتغال بمركزه الروحي. أي تفكير بالمال هو جريمة يرتكبها في حق نفسه. وإن أوهم نفسه أنه بحاجة إلى مزيد من المال وبعدها سيبدأ بالسعادة العقلية والروحية فهو أرسخ في الجنون لأن هذا لن يحدث وسيرغب في المزيد دائماً وبنفس الحجّة.
الثالثة، إنسان معيشته مستقرة ولا يفكر بالمال لكن تفكيره فقط في العربدة واللهو واللعب. هذا إنسان تلعنه السماء والأرض، ووجوده هباء وراحته عبث وعيشته فساد. كافر نعمة قطعاً، ولعله كافر دين أيضاً. علاجه: أن يجعل للهو وقتاً بسيطاً منضبطاً محصوراً، ويقضي وقته ويبذل جهده في أعمال الطريقة الإنسانية والقدسية.

الرابعة، إنسان معيشته مستقرة ولا يفكر بالمال ولهوه مضبوط وكل وقته ظاهراً أو باطناً أو كلاهما في أعمال الطريقة العقلية والروحية. لمثل هذا الصنف خُلِقَت الجنة والطبيعة وتنزلت الحكمة والسعادة. "فطوبى لهم وحُسن مآب".

...

(يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

قال النبي (من أمر ربي) ولم يقل "من أمر الله" كما في آية "يحفظونه من أمر الله" مثلاً. فالروح من أمر رب النبي، يعني هي أمر يصدر من نفس المصدر الذي صدر منه النبي فجعله نبياً، لذلك قال بعدها "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا"، فلما خاطب النبي قال له عن الروح "أمرنا"، لكن لما خاطب النبي الناس قال لهم عن الروح "أمر ربي". لأن الروح تصدر من الله إلى النبي ثم من النبي إلى الناس، فنحن نعرف الروح بوسيلة النبي لذلك أخذنا القرءان عن النبي.

...

الانتظار قد يكون عبادة وقد يكون جريمة.

العبادة حين تعمل ما عليك في أمر ما ولك مقصد مشروع فتنتظر وقوع أثر معين ليس بيدك جلبه بأكثر مما عملته، وعلامة هذا النوع من الانتظار أن تجد عدم الانتظار سيؤدي إلى ارتكابك معصية أو جريمة أو عملاً مُخلّاً بالكرامة والشرف. وعن هذا النوع ورد "انتظار الفرج عبادة".

الجريمة حين لا تعلم ما يجب عمله أو تعلم ولا تعمل به لكنك تنتظر تغيّر شيء بدون معرفة ما هو بالضبط أو لا يكون من الحق أصلاً انتظار هذا الشيء ليتغيّر. من هنا قيل مثلاً لبعض المتوفين "الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها". أو مثل أن ترى طفلاً يغرق في بحيرة وتقول "سأنتظر قدوم الإسعاف لأقفز لإنقاذه" فهذا انتظار يساوي قتل الطفل.

ليس كل صبر محمود، ولا كل انتظار مشكور.

...

من أهم أسباب السكينة: السكون والسكوت.

حركة الجسم فرع حركة الإرادة في النفس، فأصل السكون في النفس هو عدم إرادتك شيئاً، ويتفرع عنه سكون الجسم. أما الذي يجبر جسمه على السكون مع امتلاء نفسه بالرغبات والشهوات فهذا منافق، نفسه في جهة وجسمه في جهة مضادة.

حركة اللسان فرع حركة العقل في النفس، فأصل السكوت في النفس هو عدم تفكيرك بشيء، ويتفرع عنه سكوت اللسان. أما الذي يجبر لسانه على السكوت مع اضطراب عقله بالأفكار والتخيلات فهذا منافق، عقله ناطق ولسانه صامت يوهم مَن يراه بل يوهم نفسه بأنه من أصحاب صمت العقل.

السكون والسكوت، أصلاً وفرعاً، نفساً وجسماً، مجرد وسيلة لإعداد الروح للسكينة. لأن السكوت يجعل الروح تتكلم بدلاً من العقل، والسكون يجعل الروح تفعل بالهمّة بدلاً من الجسم. وحين تتصرف الروح ويصبح المُلك له فقد حلّت السكينة وأشرقت الأرض بنور ربها.

...

هذه الطرق الكبرى التي يسلكها الناس، فانظر أيها تسلك:

الأولى، إنسان معيشته غير مستقرة لأنه بلا بيت وبلا معاش كاف باعتدال، فهو مضطرب الذهن ومُستَهلَك البدن في ذلك طول عمره ولا يعرف غير التفكير في معيشته. هذا الإنسان يعيش في سجن الدنيا، في عنبر جهنم منها. علاجه: أولاً تقليل لوازمه المعيشية بأكبر قدر ممكن، ثانياً تنظيم وقته، ثالثاً العيش في بلد ذات اقتصاد محترم وسياسة مستقرة، وقبل كل ذلك أن يكون له مركز روحي.

الثانية، إنسان معيشته مستقرة ومعاشه منتظم ولو كان لا يفيض منه شيء ولا بذخ عنده لكنه يقضي وقته في التفكير في معيشته وزيادة ماله على حساب ما هو أولى، فهذا إنسان كالكلب يلحق ذيله، ويُشقي نفسه كمجنون يحرق جسمه بيده. علاجه: عدم التفكير في المال والاشتغال بمركزه الروحي. أي تفكير بالمال هو جريمة يرتكبها في حق نفسه. وإن أوهم نفسه أنه بحاجة إلى مزيد من المال وبعدها سيبدأ بالسعادة العقلية والروحية فهو أرسخ في الجنون لأن هذا لن يحدث وسيرغب في المزيد دائماً وبنفس الحجّة.

الثالثة، إنسان معيشته مستقرة ولا يفكر بالمال لكن تفكيره فقط في العربدة واللهو واللعب. هذا إنسان تلعنه السماء والأرض، ووجوده هباء وراحته عبث وعيشته فساد. كافر نعمة قطعاً، ولعله كافر دين أيضاً. علاجه: أن يجعل للهو وقتاً بسيطاً منضبطاً محصوراً، ويقضي وقته ويبذل جهده في أعمال الطريقة الإنسانية والقدسية.

الرابعة، إنسان معيشته مستقرة ولا يفكر بالمال ولهوه مضبوط وكل وقته ظاهراً أو باطناً أو كلاهما في أعمال الطريقة العقلية والروحية. لمثل هذا الصنف خُلِقَت الجنة والطبيعة وتنزلت الحكمة والسعادة. "فطوبى لهم وحُسن مآب".

...

مصيبة الإنسان أن يريد استعباد إنساناً آخر. ومن هذه النزعة إرادة تسخير "الجن". فالجنّي ليس إلا عبداً عندك، فلولا إرادتك الاستعباد لما طلبت تسخير الجن. حتى في القصص الخيالية نجد نمط الجنّي هو نمط العبد والأجير، يقول لك مثلاً "لك ثلاث أمنيات، لكن بثلاثة شروط، لا تتمنّى أكثر من ثلاث أمنيات وَلا تطلب عدم الموت ولا تطلب إزالة العناء من الدنيا تماماً"، هذه نفس الثلاثة التي تُطلَب من العبيد والأجراء عموماً، لأن لكل عبد طاقة محددة لا تستطيع أن تجعله مهما خضع لك أن يعمل فوقها وإلا سيهلك أو سيثور، ثم المستعبد مهما كانت قوته لا يستطيع أن يغيّر حقيقة الدنيا بالنسبة لك أي الموت والمعاناة بشكل عام. كذلك تجد الجنّي في تلك القصص يريد التحرر عن طريق تحقيق أمنياتك الثلاثة، وهذا مثل العبيد والأجراء الذين يجدون قيمتهم وقوتهم عبر إرضاء غيرهم من الناس وبدون ذلك لا وجود ولا قيمة لهم لا في أنفسهم ولا في المجتمع أو على الأقل في المجتمع. في كل قصص تحقيق الأمنيات عبر جنّي نجد انعكاس الأمور على المتمنّي وانقلابها ضدّه بشكل أو بآخر، وهذا تماماً كما يحدث في حالة استعباد إنسان لإنسان فإنه لابد من وجود مصائب على المالك المُستَعبِد ذاته. قد يقول البعض بأننا لن نستعبد مَن هم من جماعتنا لكننا سنستعبد مَن هم خارج جماعتنا، ومن هذا القبيل التعصّب القَبَلي والطائفية الدينية العنيفة والاستعمار الدولي، لكن حتى في هذه الحالة وعبر التاريخ نجد انعكاسات سلبية على المُستعبِدين بل وفي الداخل عندهم أيضاً حيث ينقلب بعضهم على بعض ويسعى بعضهم لمزيد من الأملاك على حساب البعض الآخر هذا فضلاً عن الآثار السلبية من المُستَعبَدين الخاضعين لهم والراغبين للتحرر منهم. الحل الوحيد هو الكفّ عن إرادة استعباد الإنسان، وأن تقوم بما تحتاجه لنفسه ولمن تحبهم بحب ومعرفة بحقيقة الدنيا وكونها مؤقتة ومحدودة مهما فعلت، وأن تتذكر دائماً الآثار الوخيمة للاستعباد عليك وعلى غيرك ومن غيرك عليك، وأن تُبسّط معيشتك ونعيش في مجتمع ديمقراطي. المصيبة الكبرى للبلاد العربية والإسلامية اليوم بشكل عام هي قضية الجنّي هذه، فالحكومة تريد جعل الشعب جنّيا يحقق أمنياتها، والشعب يريد الحكومة أن تكون جنّيه الذي يحقق أمنياته، والنتيجة استعباد متبادل وتسخير سلبي وقبيح متبادل، طبعاً مع كون الغلبة بشكل عام للحكومة والمتسلطين والطبقة القاهرة والمالكة، لكن الآثار السلبية موجودة على الطرفين. استعباد الجنّ يتضمّن عبادة الجن.

...

أهل الدجل يُسارعون إلى إنشاء جماعاتهم الخاصة، لكن أهل الحق والعقل يُحبّون الانضمام إلى جماعة موجودة إلا أن يُجبَروا على إنشاء جماعتهم الخاصة.

...

داخل بيتك لابد من سلام تام، لابد أن تشعر كأنك وحدك حتى لو كان يعيش معك ألف شخص. طالما أن الألف لهم روح واحدة وشعور بأنهم وحدة واحدة، فهم واحد. لكن الأسلم أن يكون لك بيت، ولو غرفة واحدة ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار وفيها حمام بالكاد يسعك. الخلوة شرط، وبيتك خلوتك، والخلوة حيث لا تشعر بتضاد بينك وبين غيرك، واختلاف الإرادات وتعددها يكسر الخلوة. لا أرى العيش المشترك إلا بين زوج يعشق زوجه، أو تلميذ يخدم أستاذه بروحه وجسمه، أو خادم أجير عند رب عمله. ما سوى هذه الثلاثة لابد أن تكسر الخلوة وتخرب روحانية البيت. وكلامي كالعادة عن تجربة، فقد جرّبت الحسن والسيء في هذا الأمر، ورأيت الحسن ينقلب إلى سيء من شخص واحد، فشعرت بالفرق في الحالتين ومن شخص واحد. الطلاق شُرِع حتى يتحرر الزوج (ذكر أو أنثى أو خنثى) من ضيق بيته بسبب زوجه "يُغنِ الله كُلّا من سعته"، والفراق شُرع حتى يتحرر الأستاذ من تلميذه العاصي والمارق والأناني والمعترض "هذا فراق بيني وبينك"، والعتاق شُرع ليتحرر السيد من خادمه الثائر "كاتبوهم". لا يوجد شيء أعلى من حفظ خلوة العالِم، وخلوته بأن لا يوجد له ضدّ في بيته ولا ثاني يكسر وحدته. أن تعيش وحدك خير من أن تعيش مع مَن يكسر خلوتك بثنائيته وثنويته.

إضافة: بعدما شرحت المعنى السابق لشخص تبيّن لي أثناء الشرح أفكار تضمنتها المقالة ولم أنصّ عليها ولمّا كانت كتبي محلّ التفصيل والبيان بشكل عام فسأذكرها هنا إن شاء الله:

أ-العلاقة بين الزوجين حب روحي وجسماني، توحيد روح وجسم، لذلك هي أوّل مثال ضربته وهو أعلى اتحاد وبناء عليه يصح الاشتراك في البيت بدون كسر للخلوة المؤسسة على الوحدة. وضمن هذا المعنى بيان لركن الزواج الأكبر وهو الاتحاد في الروح والجسم، ومن معاني هذا الاتحاد الاتفاق في العقل والرؤية الوجودية والمقاصد السلوكية خصوصاً فيما يتعلّق بالأمور الوجودية كالدين الجوهري.

ب-العلاقة بين الأستاذ والتلميذ مبنية على الحب الروحي فقط، إذ لا يوجد اتصال جنسي بين الأستاذ والتلميذ في العلاقة الصحّية وإلا تحوّلت إلى زواج. بناء على الحبّ الروحي والاتحاد العقلي، تأتي الخدمة الجسمانية والاتباع في الإرادة، لكن بسبب الافتراق ما بين الأجسام ونقص الاتحاد يحدث الافتراق والاختلاف أو قد يحدث، ولذلك جعلته في المرتبة الثانية. يتبع هذا التعريف تعريف علاقة التعليم وأنها لابد أن تكون مبنية على نوع من الحب الروحي وليست مجرد وظيفة آلية خارجية لفظية، فإن هذا انحطاط العلاقة التعليمية أو شكل منحط لها.

ج-العلاقة بين السيد والأجير ليس فيها لا حب روحي ولا حب جسماني، ولذلك هي آخر العلاقات، وهي مبنية فقط على اتباع الأجير لإرادة السيد الظاهرة له، فهنا نصل إلى آخر أبعاد الظاهرية والهبوط من الروح العقلي، وهي علاقة فيما يتعلّق بالمحسوس الخارجي، ولذلك يصحّ التعايش بين السيد والأجير، لكن لأن العلاقة غير إنسانية فإنك ستجد العلاقة متوترة والغالب عليها إبعاد الأجير عن منظر السيد وعدم تكلّمه بحضرته إلا بأقلّ ما يمكن وسيفضّل الصمت بشكل عام والكلام بينهما على قدر الضرورة وبصورة أوامر ظاهرية محسوسة غالباً، فهي أقلّ العلاقات إنسانية ولكن لأن فيها جانب الخدمة وتبادل المنفعة المحسوسة (مال مقابل خدمة) وجدت العلاقة الوظيفية، وإنسانية السيد والأجير معدومة هنا لأن كل واحد يرى صاحبه كمجرّد وسيلة لشيء مادّي بحت، فالسيد مجرّد مصدر للمال والأجير مجرّد مصدر للخدمة.

...

المؤسسة الدينية صنم، دائماً.

لأن كل مؤسسة موجودة مبنية على عقيدة محددة وأعمال معينة وسلطة خاصة تُعطى لأفراد بأعيانهم. مما يعني بالضرورة أن العلم انحصر، وكأنهم يدّعون بأنهم أوتوا من العلم كثيراً بل أوتوا العلم كله بل لا يؤتى العلم غيرهم، وهذا كفر، فكل مؤسسة دينية كافرة بالضرورة. لذلك لا توجد ولا مؤسسة دينية أقامها نبي، يستحيل على نبي أن يقيم مؤسسة لأنه أعلم بالله من أن يتجترئ على الله بادعاء الدعاوى الضرورية لإقامة مؤسسة دينية. فالعلم المحيط الظاهر في "العقيدة الصحيحة" دعوى.

والدعوى الثانية تقييد الأعمال الصالحة في لون أو شكل مخصوص، بينما الحق أن الأعمال تتلون بتلون الأشخاص وباختلاف الزمان والمكان والمقاصد والظروف وبقية الاعتبارات الفردية والجماعية وخصوصاً الفردية. المؤسسة دائماً تكسر الفرد لصالح المؤسسة، يعني لصالح الأفراد الذي يديرون المؤسسة، فكل مؤسسة ضد الفرد بينما الله تعالى مع الفرد وللفرد بالتالي كل مؤسسة لابد أن تكون ضد الله وحكمته ورحمته.

والدعوى الثالثة تقييد السلطة في أفراد ينتخبهم مَن سبقهم أو فئة يختارهم مَن سبقهم. وهذه السلطة المُدعاة ليست مجرد سلطة إدارية لأشغال ظاهرية كتنظيم نفقات مالية أو التعامل مع جهات حكومية أو ترتيب مصالح أعضاء المؤسسة ونحو ذلك من أشغال قد يقوم بها أي شخص، بل هي سلطة إلهية بدرجة أو بأخرى، يعني يتكلّمون عن علم الله ويأمرون بإرادة الله ويعدون الناس بوعود يحيلون تحقيقها على الله. السلطة إن كانت إدارية فلا وجه لأن يتم تقييدها حصراً في أعضاء بصفات معينة أحدها الانتماء إلى المؤسسة في عقائدها الدينية الغيبية مع تكفير المخالف لصاحب السلطة إذ ما علاقة هذا بتنظيم الشؤون الإدارية التي قد

يقوم بها أي شخص له أهلية إدارية فمثلاً أن يُقال لابد من الإيمان بالتثليث حتى تعرف كيفية توزيع الصدقات على فقراء المؤسسة الدينية هو أمر لا معنى له فإننا نرى مَن لا يؤمن لا بالتثليث ولا بالتربيع ولا بالتوحيد ومع ذلك يُحسن إدارة المؤسسات الخيرية الحسّية الاجتماعية. والسلطة إن كانت إلهية فالله أكبر من أن تنحصر إرادته في مَن يهواهم أرباب السلطة السابقة في أي مؤسسة، ولطالما-وبحسب جميع الأديان-رأينا الله يختار ويصطفي مَن لا يرى أكثر الناس أنهم أهل للسلطة (قرآنياً مثلاً طالوت الذي قيل فيه "نحن أحق بالملك منه"، ومحمد الذي تمنّى بعض الناس أن يكون القرءان قد نزل على "رجل من القريتين عظيم" بدلاً من محمد الذي ما هو رجل من القريتين عظيم في تصورهم، ونستطيع الإتيان بمثل هذه الأمثلة من جميع الأديان الكبرى)، فإذا كان الأمر كذلك، فمن أين لهم تقييد إرادة الله في الاختيار باختيارهم هم ثم نسبة اختيارهم إلى الله بل والادعاء بأن الله لا يختار إلا مَن اختاروه ولا يرضى إلا عمّن رضوه. هذا يدلّنا على أن كل مؤسسة دينية لابد أن تكون مجرمة منقطعة العلاقة بإرادة الله، ومعتدية في ادعاء سلطة هي في الأصل سلطة الله.

النتيجة؟ كل المؤسسات الدينية بالضرورة كافرة وجاهلة ومجرمة ومعتدية، على الله أوّلاً وعلى عباد الله ثانياً وعلى أنفسهم ثالثاً.

وينبني على ذلك وجوب محاربة جميع المؤسسات الدينية بلا استثناء، حرباً كلامية إن كانوا يقتصرون على الكلام، وحرباً برفض الانضمام لهم بالنفس ورفض مساعدتهم بالمال، وحرباً قتالية إن كانوا يجبرون مؤسستهم على الناس بالعنف والقتال كما يفعلون عادةً وعبر التاريخ بشكل عام إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

لا يمكن لمؤسسة دينية أن تحمل ديناً إلا وهو جثّة لا روح فيها، ولا يمكن أن تنشر إلا وثنية لا عقل فيها، ولا يمكن أن تجد موطئ قدم إلا على حساب مجتمعات مقهورة لا حرية فيها. أعدى أعداء الإنسانية هي المؤسسات الدينية، بل أعدى أعداء الحضرة الإلهية والحقيقة الدينية والأديان الحقيقية. بمجرّد ما يتحوّل دين إلى مؤسسة فقد بطل. ويبدأ كل دين فيه روح حق كنور وحلّ، فإذا تمأسس تحوّل إلى ظلام ومشكلة بل مصيبة تحتاج إلى حل.

إذا وجدت مؤسسة دينية تدعمها حكومة سياسية، فقد وجدت الشيطان متجسّداً. ومن أحسن وسائل نشر الإلحاد بدين أن تجعله مؤسسة مدعومة من حكومة، ولا تكون الحكومة إلا ظالمة ولا تكون المؤسسة حينها إلا ظلاماً. ولا يقبل هذه الحكومة أو المؤسسة إلا شيطان انخلع من إنسانيته وكفر بربّه وكفر قبل ذلك بنفسه.

منع إقامة المؤسسات الدينية بشكل مطلق يخالف مقتضى الحق والحرية الدينية والفردية. فالناس أحرار في الذهاب إلى جهنّم ولابد من الدفاع عن حريتهم هذه على المستوى

الاجتماعي والسياسي. لكن أن تُعطى أي ميزة سياسية واجتماعية واقتصادية بوسيلة الدولة لمؤسسة بعينها دون غيرها هو الظلم والطغيان. فالحل الوسط رفع يد الدولة عن دعم المؤسسات الدينية وعن منعها أيضاً. وهذا هو الحل الذي ما جربه الناس في مكان إلا سلم الناس، وما اقترب منه مقترب إلا تنفّس الناس، وما ابتعد عنه أحد أو أبطله إلا أظلمت حياة الناس وانصبّ الغضب الإلهي على ذلك المكان ويظهر ذلك للمبصرين بعين القلب والمتنفسّين بأنف الروح.

المؤسسة الوحيدة التي يمكن أن تُقام بدون المحاذير السابقة هي مؤسسة مبنية على أعمال عامّة فقط. مثلاً، أعمال الطريقة الثمانية (الخلوة والتأمل والذكر والفكر والكتابة والقراءة والدعاء والمجالس)، فهذه الأعمال موجودة في كل مكان وهي أعمال إنسانية ولا تختص بلون دون غيره. وقد يقوم كل فرد بما يشاء من ألوانها، كأن يذكر بنحو خاص أو يعقد مجلسه بقواعد تختلف عن قواعد غيره. من حيث المبدأ، لا مفرّ من الأعمال الثمانية أو بعضها لأي دين بل أي فلسفة بل أي إنسان بشكل عام حتى إن لم يقصد نمو روحه أو عقله أو التقرب إلى ربه بها، فهي من قبيل الأكل والشرب والنوم للجسم. فقد تقوم مؤسسة على تعليم مبادئ أعمال الطريقة الثمانية، مع فتح الباب لكل فرد أو مجموعة أفراد يتراضون بينهم على اختيار لون خاص لكل عمل، أو التركيز على بعض الأعمال دون البعض الآخر إن شاؤوا، وهكذا تُترَك الحرية في التفاصيل لكل فرد أو مجموعة أفراد يتفقون مع تيسير المؤسسة لأماكن محددة أو إعطاء أدوات الأعمال، مثلاً أن تُقيم المؤسسة أماكن للخلوة والاهتمام بغرف الخلوة ومَن يدخلها كتقديم الطعام له والاهتمام بنظافة المكان مقابل أجرة أو بدونها، أو كأن تقيم مؤسسة مكتبة مفتوحة للقراء، أو نحو ذلك من وسائل وأدوات يختار الأفراد استعمالها لعمل الأعمال الثمانية لكن بدون فرض نتيجة معينة عليهم مسبقاً كأن يُفرض عليهم الذكر باسم إلهي مخصوص دون غيره أو بلغة دون غيرها أو بشكل دون غيره. هذا الصنف من المؤسسات ممكن بل ولعله نافع، لا أستطيع الحكم مطلقاً على مدى نفعه لأنه لا توجد إلى الآن مؤسسة قائمة على أعمال الطريقة الثمانية بهذا النحو، وإن كانت العناصر موجودة في في أماكن مختلفة كأن توجد الخلوة في الفنادق والكتب في المكتبات العامة ونحو ذلك. هي تجربة تستحق إقامتها.

...

الطريقة لها روح ولها صورة. الصورة قد تؤخذ بالألفاظ، لكن الروح لا تؤخذ إلا بالصحبة. صحبة الليل والنهار. صحبة المريد للرسول، يؤمن به ويحبه ويطيعه ويفكّر في راحته ويُسلِّم لحكمه ويتأمل في كل شيء يصدر منه كأنه آية من الله جاءته وتتعلق بكشف حاله له.

لهذا السبب تموت الطريقة حين تتحول إلى مؤسسة رسمية، إذ يستحيل عملياً لرسول واحد أن يكون له عدد كبير من الأصحاب المقربين.

الرسالة الإلهية الحية تؤخذ بطريقين، إما صحبة رسول وإما السعي للوصول إلى مصدر الرسالة مباشرة الذي هو الله تعالى. أي إما الصحبة وإما المعراج.

الصحبة تسخير النفس والمال لتكون في معية رسول.

المعراج يكون بأعمال الطريقة الثمانية (الخلوة، التأمل، الذكر، الفكر، الكتابة، القراءة، الدعاء، المجلس). لكل عمل صورة بالضرورة،فمثلاً لا تستطيع أن تذكر مطلقاً بل ذكرك سيكون بالضرورة مقيد بلغة وبكيفية وبكمية معينة. وهكذا في البقية. العبرة ليست بالقيد، لكن العبرة أن تأخذ بالوسيلة والسبب للتقرب إلى الله والله يختار كيف ومتى يفتح لك. فمريم لا تستطيع أن تهز جذع نخلة ولا موسى يستطيع فلق البحر بضربة عصاه، فهذه وسائل شكلية لمجرد فتح الباب لفيضان القوة الربانية. كذلك أعمال الطريقة الثمانية مجرد باب، والفتح بيد الكريم الوهاب.

...

{فما فصل طالوت بالجنود} الجنود الذين ءامنوا بقول نبيهم باصطفاء الله طالوت. فهؤلاء الجنود الذين ءامنوا بقول النبي المضاد للرأي بالهوى والعصبية. فخرج هنا الذين يقدّمون الهوى والرأي على الوحي.

{قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فإنه منّي ومَن لم يطعمه فإنه منّي إلا مَن اغترف غرفة بيده، فشربوا منه إلا قليلاً منهم} طالوت هنا موصول بالله وعارف بفعل الله ومُخبر عن الله، فهنا خرج من الجنود مَن آمن بالنبي لكن لم يؤمن بطالوت. أي بعضهم آمن بقول النبي نظرياً، وترك المظهر العملي والسلوك بحسب تشخيص قول النبي في واقع متجسّد أمامه. بعض الناس إيمانه داخل قلبه، ولا يعيش الإيمان خارجه. يؤمن نظرياً ويكفر عملياً. هذا حال الأكثرية من المؤمنين، ويبقى القليل.

{فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه} لاحظ أن "ءامنوا" هنا تتضمّن الذين جمعوا بين الإقرار بصلة طالوت بالله وبين العمل بناء على أمره، فالإيمان عقل وعمل. ولاحظ أن الوصف بدأ بالمفرد "فلما جاوزه"، ثم تم تفصيل كلمة "جاوزه" المشيرة إلى فرد وهو طالوت، فقيل "هو

والذين ءامنوا معه" كما جاء في النبي "أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" فبدأ بكلمة تشير إلى مفرد "أدعو" ثم فصّلها إلى جماعة "أنا ومَن اتبعني"، كذلك الحال في طالوت، " جاوزه" جانب الوحدة بين طالوت ومن اتبعه لأنهم منه "من لم يطعمه فإنه منّي"، فالوحدة قائمة ما بينه وبينهم وإن كانت الكثرة ثابتة باعتبار ثانوي.

{قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده} هؤلاء الذين نظروا إلى جانب أنفسهم دون جانب ربهم، فقد تؤمن بالنبي نظرياً وعملياً وتؤمن وتعمل بمظهر الاصطفاء ومع ذلك يبقى نظرك إلى نفسك وأنك مصدر الفعل دون الله تعالى خصوصاً حين يجدّ الجدّ ويظهر الضدّ.

{قال الذين يظنّون أنهم مُلاقو الله} هذا الظن على المستوى العقلي، أي الذين عقولهم ناظرة إلى لقاء الله، واللقاء مثل "مرج البحرين يلتقيان بينهم برزخ لا يبغيان"، فلا يتغيّر العبد ويصير ربّاً ولا يتغيّر الرب فيصير عبداً، فلقاء الله لا يجعلك الله ولا يجعل الله أنت، لكن يحصل اللقاء في حضرة برزخية جامعة وهي السرّ الذي بين العبد وربّه والباب الخاص بينهما. فلأنهم يؤمنون بلقاء الله وهو أعظم فعل ممكن في الوجود لأنه أغرب وأعجب فعل إذ اللقاء ما بين الحق المتعالي والخلق المتدني أمر عجيب حقاً، فإن كان الله يفعل ذلك ويقدر عليه، فأهون عليه أن يجعل {فئة قليلة} تغلب {فئة كثيرة} {بإذن الله}، فالله تعالى هو القلّة لأنه الواحد، والخلق هم الكثرة كما قال "الله الغني وأنتم الفقراء" فهو الواحد ونحن الكثير، فلما غلب بوحدته على كثرتنا وأمكن تجليه لنا في اللقاء، عرفنا أن القلّة قد تغلب الكثرة بإذن الله في كل أمر إذ الأصل الإلهي متحقق فيثبت قياساً عليه الفرع التكويني، ومن هنا قال بعدها {والله مع الصابرين} فالله واحد والصابرين كثير، وثبتت معية الله للصابرين كما ثبت لقاء الله للعباد، وصلة الواحد بالكثير، وقهر المتعالي للسافلين.

...

علامات الوقف في المصحف قد تكون عبثية أو اختيار كاتب المصحف ولذلك لا تعتمد عليها كثيراً أو مطلقاً. مثال ذلك آية الكرسي.

في المصحف السعودي المشهور {الله لا إله إلا هو الحي القيوم (ج)} أي وقف جائز جوازاً مستوي الطرفين. فهذا إغفال لتقسيم آية الكرسي. فإن "الله" جزء إثبات وبعده "لا إله إلا هو" جزء نفي متعلّق بالمثبت لكنه ينفي عنه نقصاً متوهماً، فالله هو الإله الذي لا يمكن أن يوجد إله غيره أصلاً. فقد نضع علاقة وقف بعد "الله"، وعلامة وقف بعد "لا إله إلا هو"، أو قد نضع

علامة وقف بعد النفي على اعتبار أن "الله لا إله إلا هو" جملة واحدة متكاملة الأركان. أما وضع الوقف ولو جوازاً بعد "الحي القيوم" فهذا مبني على إغفال ما سبق.

ثم وضعوا جيماً أخرى بعد "لا تأخذه سنة ولا نوم". بينما القراءة الواعية تكشف أن " الحي القيوم" إثبات، "لا تأخذه سنة ولا نوم" نفي متعلّق به، فهما معاً جملة كاملة من إثبات ونفي، فالأولى وضع علامة وقف بعد كلمة "نوم". فتكون الجملة الثانية، وقد نضع علامة وقف بعد "القيوم" وعلامة أخرى أقوى منها في الدعوة إلى الوقف بعد "نوم".

ثم هذه أغرب، إذ وضعوا علامة وقف جائز مع كون الوقف أولى بعد "له ما في السموات وما في الأرض" وهي علامة (قلي)، فما الفرق ما بين الجمل السابقة وهذه الجملة حتى تتغيّر علامة الوقف عندها؟ نعم هي جملة جديدة فيها إثبات الملكية الإلهية، لكن ما قبلها جملة إثبات الحياة الإلهية، وما قبلها إثبات الوحدة الإلهية، كلها جمل في إثبات السمات الإلهية، فما معنى تخصيص تلك بالوقف المستوي الطرفين وهذه بالوقف الأولى؟ لا معنى. ثم يزيد غرابة أنهم وضعوا الوقف المستوي الطرفين بعد الجملة النافية لهذه الجملة المثبتة، "مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" فإنها متعلّقة بجملة "له ما في السموات ما في الأرض"، فالأولى كان وضع الوقف الأولى بعد "بإذنه" للاعتبار السابق.

ثم ازداد الأمر تخليطاً في الجملة التي بعدها إذ وضعوا وقفاً من نوع ثالث وهو الوقف الجائز مع كون الوصل أولى (صلي) بعد قوله تعالى "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم"، بالرغم من أنها جملة جديدة في إثبات العلم الإلهي، كما أن ما سبقها في الوحدة والحياة والملك، فلماذا كان الوصل أولى هنا؟ لا بيان ولا معنى. ثم وضعوا للجملة النافية المتعلقة بهذه الجملة المثبتة علامة الوقف المستوى الطرفين بعد "ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء"، بالرغم من أنها ظاهرة في أنها تنفي شيئاً متعلقاً بالعلم الإلهي الذي أثبته في الجملة السابقة.

ثم وضعوا أيضاً علامة الوقف مع كون الوصل أولى بعد "وسع كرسيه السموات والأرض" ولماذا لا يقفون عندها لفهم المعنى المثبت هنا قبل قراءة "ولا يؤده حفظهما" التي وضعوا بعدها علامة الوقف الجائز جوازاً مستوي الطرفين.

الحاصل: في أحسن الأحوال هذه العلامات من رأي واضعها، ولا يوجد من نفس القرءان قطعاً ما يؤيد كون الوقف أولى أو غير أولى أو نوعية الأولوية ودرجتها وسببها وتختلف أنظار القراء فيها. فالأولى أن لا توضع أصلاً ولا تشوش على القراء تلاوتهم وتدبرهم. ينبغي تجريد القرءان ما أمكن. فالتجريد من التفريد، والتفريد يفتح أبواب المزيد. والله هو العلي المجيد.

....انتهى والحمد لله.